نحو ثورة أدبية

بقلم / رئيس التحرير



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عقدت مؤتمرات ادبية كثيرة ، في شتى انحاء البلاد العربية ، لتتدارس شئون الادب وشئون الادباء ، فهل يا ترى حققت هذه المؤتمرات الادبية اهدافها ؟ وماذا حققته من انجازات بالنسبة للادب العربي ، وبالنسبة للاديب العربي ايضا ؟ الواقع اننا لو أمعنا النظر ، ودرسنا هذه المؤتمرات الادبية دراسة جادة ، ودرسنا الاسباب والدوافع التي تقوم من وراء هذه المؤتمرات لوجدنا حقائق تكشف اسباب عدم نجاح هذه المؤتمرات ، على مختلف اشكالها والوانها ، ذلك ان الكثير منها لا يقوم على اساس مصلحة الادب ومصلحة الاديب ، وانما يقوم على اساس مصلحة سياسية آنية سرعان ما تذروها الرياح ، فلا يبقى من هذه المؤتمرات شيء ذو فائدة .

ان الصراع السياسي الذي يحتدم على الارض العربية ، هو الذي يوجه مثل هذه المؤتمرات ، وهو الذي يضع لها الخطط التي تسير عليها ، وهو الذي يختار لهذه الخطط المنفذين ، ويا ليت هذه الخطط تخدم اغراض الادب ، ويا ليت المنفذين يخدمون اغراض الاديب ، بل ليت هؤلاء المنفذين وتلك الخطط تخدم السياسة العربية ، لكن هل هناك سياسة عربية موحدة حتى تخدمها تلك الخطط ، وهؤلاء المنفذون لها ؟ ان المؤلم حقا ان السياسة التي تصطرع في مثل مؤتمرات الادباء ، انما هي سياسة هدم لا سياسة بناء ، فاذا كان البعض يراها سياسة بناء بالنسبة له ، فانما هي سياسة هدم بالنسبة لغيره ، وهذا الغير اذا اصابه الهدم ، فانما يصيب المؤتمر نفسه ، والمؤتمر نفسه يمثل ابناء امة واحدة ، وهي امة مقسمة مجزاة ، مفككة ، تحتاج الى البناء ، من ابنائها بالذات ، لكن الصراع على السياسة المحلية ، هو الذي يعرقل مثل هذا البناء، وهو الذي يعطل التفاهم فيما بين ابنائها .

فمؤتمرات الادباء التي نراها تعقد بين الحين والآخر ، وتقام هنا وهناك ، لا تمثل الادب العربي ، وانما تمثل الصراع بين اجزاء البلاد العربية المختلفة، والادباء الذين يشتركون في هذه المؤتمرات اكثرهم لا يمثل روح الاديب المتجرد عن مثل هذا الصراع ، الاديب الذي لاينظر الى هذه البلاد العربية نظرة تختلف بعضها عن بعض ، وانما ينظر اليها نظرة واحدة ليس فيها تحيز او تفضيل ، لكن ترى من الذي يختار مثل

هؤلاء الادباء الذين يشتركون في المؤتمرات الادبيـــة العربية ؟ لا شك ان ايادي خفية تختارهم ، او تختـار الكثير منهم ، لتوجههم الوجهة التي تريدهـا ، والا فلماذا لا نرى في مثل هذه المؤتمرات اولئك الادباء الذين لاينظرون الى الادب تلك النظرة الاقليمية الضيقة ، والذين حينما يتحدثون عن الادب فانما يتحدثون عن الادب العـربي فحسب ، والذين يرون في خدمة الادب العربي خـدمة للعرب جميعا ، لا خدمة لجزء دون جزء آخر من هـذه الاجزاء العربية ، وهي التي تمثل البلاد العربية ، والذين لا يلقون بالا لاولئك الذين يجزئون الادب ، ويشوهونه ، ويفرقون بين الادباء في مختلف الوطن العربي .

ان الادب العربي ، ادب واحد ، لا يمثل بلـدا عربيا دون بلد آخر ، وانما يمثل الوطن العـربي ككل ، لكن بعض ابناء هذا الوطن ترسبت في نفوسهم النعـرة الاقليمية فراحت هذه النعرة تفتك بهم ، وتعزلهم عن بقية اخوانهم ، واخذت تتاصل فيهم ، حتى وجدناهم ينعزلون انعـزالا تاما ، فكانهم يختلفون عن بقية اخوانهم العرب، ويشكلون كيانـا قائما بذاته ، في حدوده وفي انظمتـه، وفي قوانينه ، وما علموا ان هذه القوانين والانظمـة والحدود التي يدافعون عنهـا ، ان هي الا عقبـات وعوائق اقامها الاستعمار الغربي المستغل ، ليبقي هذه الاجزاء معزولة عن بعضها حتى يتمكن من السـيطرة عليها واستغلالهـا .

ان الاديب العربي يجب ان يكون حرا من مثل هذه القيود التي تفرض عليه فرضـا ، وان يكون طليـق الارادة ، لا تؤثر عليه السياسة الاقليمية لكل بلد عربي، ولا يقيم اي وزن للصراع السياسي بين انظمة الحكم في هذه البلاد العربية المقسمة ، والا فلا يحق له ان يمثـل الاديب العربي تمثيلا صحيحا ، ولا يجوز له ان يتكـلم باسم الادب العربي ، ذلك ان الادب العربي لا يعـرف الا وطنـا واحدا ، هو الوطن العربي ، والاديب العربي ان لم يكن ناطقـا باسم الاديب العربي في كل بلد عربي ، اصبح اديبـا لا يمثل الا جزءا من الوطن العـربي ، والاديب الذي لايمثل الا جزءا من الوطن العربي ،لا يحق له ان يتكلم باسم الادب العربي ككل .

ان على الادباء العرب ان يغيروا من نظرتهم الى انفسهم ، والى الادب الذي يريدون ان يخدموه ، وان يقدموا على خطوة تعصف بهذه النظـرات الاقليمية المشبعة بروح التفكك والتخاذل ، وان يعلنوها ثـورة ادبية تطيح بتلك النظرة المشبعـة بروح الانعـزال والتقوقع ، فالادباء هم حملة الاقلام ، وهم القـادرون على تصحيح هذا المسار الخاطىء الذي يسير عليـه بعض الادباء في شتى انحاء الوطن العربي ، فالادبـاء ان لم يكونوا احرارا حقـا في نظرتهم الى الادب العربي، والى الاديب العربي ، مهما انتمى هذا الاديب الى هـذا البلد العربي او الى ذلك البلـد العربي ، فانهم لن يستطيعوا ان يخدموا الاديب العربي ، ولن يستطيعـوا ان يقدموا شيئا الى الادب العربي ، وانما العكس هو الصحيح ، انهم سيلحقون اضرارا بالغـة ، بالادب العربي، وسيسيئون اسـاءة بالغة الى الاديب العربي.

لماذا يجتمع هؤلاء الادباء في مؤتمراتهم ، ويخرجون من هذه المؤتمرات بالفشل ؟ ولماذا يجتمعون في هـذه المؤتمرات ، وكل وفد منهم يعتقد انه يمثل امة تختلـف عن امم هذه الوفود ، ولماذا تثـار الحزازات والنعرات السياسية في مثل هذه المؤتمرات التي تقام لخدمة الادب العـربي ؟ ان الهوة تعمق وتتسع ، والخلافات تتاصل وترسـخ في النفوس ، والفرقة تزيد وتشتد ، والادب العربي يشوه ويضيع، والسبب ان بعض الذين يحضرون هذه المؤتمرات الادبية ، ياتون وفي اعتقـادهم انهم سيخدمون الفئة التي ينتمون اليها ، او الحزب الـذي ينضمون اليه ، وما دروا ان هذا الحزب ، وتلك الفئة ما هما الا جزء من الامة العربية ، عليهما ان يذوبا فيها ، وان لا يخلقـا مثل هذه الانعزالات ومثل هذا التعصب الذي يؤصل التفرقـة ، ويزيد الشقاق . بل ان بعض الذين يحضرون المؤتمرات الادبية ، ليسوا من الادباء في شيء ، وانما يحضرون لخدمة حزب ، او فئة معينـة ولعرقلة العمل الجـاد الذي قد ياتي به البعض من الادباء الاحرار الذين لا تسيطر عليهم مثل هذه النزعات الاقليمية الضيقة ، بل ربما حضر هذه المؤتمرات بعض المشكوك في عروبتهم ، من الذين يعتنقون الشعوبيـة المخربة ، وهؤلاء لا يهمهم انجح المؤتمر ام فشل ، بقـدر ما تهمهم خدمة الاغراض المطلوبة منهم ، او المتاصـلة في نفوسهم من عداوة وبغض للعرب وللامة العربية ككل.

اننا لو رجعنا الى ملفات مؤتمرات الادباء العرب ، لما وجدنـا فيها شيئا جادا يخدم الادب العربي ، ولما وجدنا فيها مخططات مدروسة للنهوض بالادب العربي، والارتفـاع به الى مصاف الآداب العالمية ، التي لم نشاهد فيها مثل هذا التمزق الذي نشـاهده في هذا العصر في الادب العربي ، والسبب يرجع في الدرجـة الاولى الى الصراع بين اقاليم الوطن العربي المتفرقعـة على نفسها ، والمنعزلة انعزالا عن غيرها من البـلاد العربية الاخرى ، ثم يرجع الى بعض الادباء انفسـهم الذين لم يستطيعوا ان يسموا عن الصراع المحتدم بين الاقاليم العربية ، هذا الصراع الذي يمزق الشمل ، ويفت في العضد ويؤلم العرب الاحرار في كل مكان ، ذلك ان كل اقليم من الاقاليم العربية ، يدعو الى نفسـه ، ويحارب الآخرين ، وكل منهم يركز اهتمامه في محـاربة الآخر ، واسقاطه ، والاطاحة به ، مهما كلف ذلك من

نحو ثورة أدبية

خسائر تجر الوبال عليه وعلى الآخرين ، والغريب ان هذا الصراع ما زال يجري ، ويحتدم اواره بعد الضربات القوية المتلاحقة التي تتلقاها هذه الاقاليم من الاستعمار العالمي ومن الصهيونية العالمية ، وما زالت العواطف هي التي تتحكم في كل تصرفاتها واعمالها بعد النكسة الكبرى التي حلت بهذه الاقاليم المتناثرة الضعيفة المفككة ، هنا وهناك .

كان ابناء هذه الاقاليم يعتقدون ان نكسة حزيران ستوقظ الامة العربية كلها ، لكن النكسة حلت ، والعنتريات ما زالت تردد هنا وهناك ، وما زال صداها يرن كل يوم في الآذان العربية ، والمخلصون بحت اصواتهم من كثرة المناداة ، وضاعت كلماتهم في الهواء ، وتلاشت كما يتلاشى الصدى في الصحراء ، بل ان ضجيج العنتريات والمزايدات اصم الاسماع ، وشتت الافكار ، وزاد في تمزيق الشمل ، وتضليل الراي العام العربي ، حتى سقط المصلحون ، وتواروا على الانظار ، بعيدا بعيدا الى حين صحوة القوم من نومهم وضلالهم ، والى حين تفجر ثورة عربية عارمة ، تدك القلاع المبنية على المزايدات العنترية ، وتهدم البيوت المقامة على التهريج اليساري العربي المشوه ، والخداع اليميني المضلل ، بل تقوض دعائم الحكم العاطفي ، المبني على الاقوال الكاذبة ، والانتفاخ الاهوج والتهريج الذي لا يهتم الا بالاثارة والهدم والتشويش ، دون استعمال سلاح العصر ، سلاح العقل والواقع ، ولعل الابناء الاحرار هم الذين يفجرون مثل هذه الثورة الاصلاحية ، ويحملون لواءها في مختلف البلاد العربية ، ويمحون من عقول الناشئة ، عدة المستقبل ، ما ترسب من نزعات اقليمية، ويمهدون بذلك لاقامة وطن عربي تذوب فيه النزعات الاقليمية ، وتختفي التحزبات والتكتلات الحزبية ،ويعتمد في حكمه على الاشياء المحسوسة ، على العقل والحكمة، والمنطق والواقع ، لا على العواطف الشخصية ، ولا على المزايدات والعنتريات . ان الابناء العرب هم حملة الاقلام ، وهم الذين يستطيعون ان يصححوا هذه الاخطاء التي تعج بها الامة العربية ، واذا استطاع الابناء ان يوحدوا رايهم ، وان ينبذوا عنهم النظرات الضيقة المحدودة ، وان يوجهوا اهتمامهم لخدمة الادب العربي ، كادب عربي لكل الامة العربية على اختلاف اقاليمها ، وان ينظروا الى الاديب العربي نظرة واحدة لا تفرقة فيها ولا تمييز ، سواء كان هذا الاديب من هذا الاقليم او من ذلك الاقليم ، واذا استطاع الابناء ان يوجهوا انتاجهم الى هذا المسار السليم ، فانهم بذلك يكونون قد بداوا ثورتهم الادبية والفكرية في جميع انحاء الوطن العربي ، ويكونون ايضا قد وضعوا الاسس السليمة ، لاقامة مجتمع عربي واحد تذوب فيه الفوارق بين الطبقات وبين الاقاليم ، ويشب فيه جيل عربي واع، ينظر الى مختلف الاقاليم العربية نظرة واحدة ، لا يفرق بين هذا وذلك ، جيل يعي ويدرك ان هذه الاوضاع التي يشاهدها اليوم ، هي التي اوصلته الى هذا الحال من التاخر والرضوخ لارادة المستعمر المستبد ، وان هذه الاوضاع هي التي خططها ونفذها هذا المستعمر المستبد ، وانها هي التي قادته الى الهزيمة المذكرة التي حلت به ، وهي التي جعلت الفرد العربي مقيدا لايستطيع ان يعمل شيئا امام الاوضاع التي يتردى فيها والتي تقوده الى الضياع .

ان الابناء العرب عليهم مسئولية عظمى امام امتهم ، وامام وطنهم الكبير فعليهم ان يثوروا على الاوضاع التي تقيدهم ، وتكبل خطواتهم ، وتعرقل سيرهم الى الطريق الصحيح ، طريق الحرية والمجد ، وعليهم ان يوجهوا بكتاباتهم واشعارهم ابناء امتهم ، ويوضحوا لهم الحق من الباطل ، فان امتهم العربية اليوم تواجه اخطارا عظيمة ، وان العدو المترصد لها يعد العدة لابادتها والقضاء عليها ، لانه يعتقد ان لا بقاء له في بحر زاخر من العرب الا اذا كانوا في مثل هذا الحال من التفكك والتفرقة ، حيث يسهل القضاء عليهم الواحد بعد الآخر ، ومن ثم ابادتهم ، اما اذا اتحدت اجزاؤهم وضمت صفوفهم ، والتام شملهم ، فانهم قادرون بلا شك على استرداد كرامتهم ورد عدوهم ، واعادة الحقوق الضائعة الى اصحابها من ابناء وطنهم ، وَمَنْ غير الادباء يستطيع تفجير مثل هذه الثورة الاصلاحية ، عن طريق التوعية ، وبث روح الوعي القومي بين ابناء امتنا العربية ؟

عبد الكريم الزعبي



شعر

خليفة الوقيان

مـــاذا وقـوفك يـا طَـويـــلَ النّـــاب
كاللّص كالجـــــزّار كالحطّـــــاب
تهـــوي علـــيَّ بحـــدّ فأسِكَ تـــــارةً
وتمـــدُّ طـــوْرًا مُـــديةَ القصّـــاب
ولقـــدْ سَـدَدْتَ علـــيَّ كـلَّ نوافـــذي
ومَضيتَ توصِـــدُ مُحْكَـمَ الأبْـــوابِ
وكسَـوْتَ أيّامـــي ، وكانَـتْ فتنَـــةً
قسَمـاتِ ليْـلٍ أسْـودِ الجلبـــاب
وإذا سَـكَبْتُ فقـد يسـوؤكَ أنّـــني
في الأرضِ أغـــرسُ محنَـتي وعَـذابي
فأنـا الدّليـــلُ لكـلّ ركـبٍ حـائـــرٍ
وأنـــا الشفـــاءُ لريبـــةِ المُرتـَـــابِ
وأنـــا الشّـــواطـيءُ للسّـفائِنِ ضُيّعَـــتْ
فـــوقَ العبـــابِ ، وكعبَـــةُ الخُطّـاب
وحسِبْتَ أن الشّمسَ يُطفـــيءُ نـورَهـــا
أنـّـى ابتغَيْـتَ ستـــائـــرُ الحُجّـــاب
إنّـــي لأصْنَـــعُ مـن حُطـــامِ نوائبـــي
شَمْسـاً تُطِـــلّ عـــلى شفـا أهْـدابـــي
وأصـــوغُ مـنْ غُصَصِ العَـــذابِ ملاحِمـــي
وأُقـــيمُ مـن أعْـــوادهِ محْـــرابـــي
ومـنَ الـدّمِ المطْـلولِ أسْقـــي كَـرْمَـــتي
وأديـــرُ مـن صَهْبائِهـا أكْـــوابـــي
فلقَـــدْ كشفْتُ عـن اللّيـــالي وَجْهَـهَـا
ونَسَجْـتُ مـــنْ أشْلائِهـــا أثْـوابـــي

لقاء مع

الدكتور

وحديث عن الشِعر والأدب والجامعة والطلاب



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



اجرى اللقاء
طارق عبدالله

● هل يمكنكم اعطـــاؤنا صورة للوضع الادبي المعاصر في انجلترا ، وخاصة النزعات الادبيـــة الجديدة فيهـا ؟

— اعتقد ان هنالكتغييرا في الصورة الادبية في انجلترا بعد الحرب الاخيرة، حيث نجد في الخمسينات حركةشعرية قوية . فلقد ظهر شعراء مثل « فيليب لاركن » ، « دانيال ديفي » واخـــيرا « تد هيوز » . وهؤلاء كانوا يكتبون في الخمسينات ولكنـــهم تطوروا في الستينات (الا انه لا توجد مميـــزات جديدة في كتاباتهم في الستينات) . ويعتمد الشعر المعاصر على ما نشـــر في الخمسينات بشكل اساسي .وايضا نجد بعض الارتباك في هذا الزمن ، ويأتي هذا الارتباك بســـبب المزيج الذي نسميه « الشـــعر الشعبي » POP POETRY ويرتبط هذا الشـعر بالمدينة التي اعيـــش فيها وهي « ليفربول» حيث توجد طائفة يمكن ان نسميها «الشعراء المسامرون » نجد ، لديهم موسيقى الجاز ممزوجةبالشعر . ولا اعتقد ان هؤلاء شعراء جـادون ومهمون ، ولكنهم مسامرون من الطراز الاول . واستطيع القول بان هـذه الظاهرة لا تعتبر جزءا من الحـركة

الادبية الجادة . واذا اتينا على ذكر حركة الشعر ، فلا بد لنا ان نذكر ايضا « روي فولر » ويعمل محاضرا في احدى الجامعات ، وهو من الذين جاءوا بعد « اودن » ، وشاعرا اخر هو « جون فولراين » . وقد كتب الاول كتابا ممتازا عن اودن ، نشر مؤخرا.

وفي الرواية اعتقد بان هناك حركة روائية جيدة ، ولكن هناك ممن بداوا الكتابة في اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات ، ويعتبرون الان كتابا ناضجين . وافترض ان «انجس ولسون وايريس مردوك » من اهم الروائيين الذين يكتبون بالانجليزية وينتمون الى الجيل الوسط ، لا جيل الشباب . ومن الكتاب الاكبر سنا، نجد كاتبا مثل « جراهام جرين »الذي ينشر روايات جديدة من حين الى حين وكذلك « انتوني بيرجس » .

وهناك بالطبع عدد كبير من الروايات التي تكتب خارج انجلترا ونجد لها تاثيرا كبيرا فيها . ومن الذين شاعت رواياتهم في الخمسينات والستينات « ناباكوف » ، كاتب « لوليتا » ،وهو كاتب مقروء جدا وله تاثير على بعض الروائيين المعاصرين. وهناك ايضا « فرانسوا موریاك » ، الفرنسي ، وله تاثيره في انجلترا .

في المسرح نجد تجارب مسرحية يرتبط الكثير منها بمسرح العبث ومسرح القسوة .واكثر الاسماء لمعانا هو « هارولد بنتر » وهو مرتبط بالمسرح ككاتب ومخرج وممثل ، ولذلك فان مسرحياته ناجحة اكثر من غيرها. وبجانب هذا هناك المسرح التقليدي ، الذي اعتقد انه جيد بشكل ما . ويبدو ان كاتبا مثل « روبرت بولت » مؤلف رجل لكل الفصول كاتب مسرح ممتع.

● يتردد القول ان هذا العصر هو زمن انحسار المجلات والصحف الادبية فهل توافق على ذلك ؟

— لا اعتقد انني اوافق هذا القول. فمعظم المجلات الادبية تبداها مجموعة صغيرة . وتستمر المجلة لسنتين او ثلاث ثم تموت ، وتبدأ بعدها مجلات جديدة . لا اعتقد ان عدد المجلات الادبية الان اقل مما كان عليه قبل عشر او عشرين سنة . ولكن هناك مجلات مختلفة . واذا رجعنا الى الثلاثينات ، نجد ان المجلة التي كان الجميع يساهم فيها هي مجلة «الشعر الجديد » NEW VERSE وكنت سكرتير تحريرها لمدة . كما كانت تصدر مجلات اخرى عن الشعر والنثر المعاصرين ، ومجلة بعنوان « شعر القرن العشرين » . ولقد توقفت هذه المجلات عن الصدور . ولكن هناك اخرى غيرها . فهناك مجلة « ريفيو » REVIEW التي يرئس تحريرها « اي. ن. هاملتون » وتعتبر اكثر المجلات الشعرية جدية، واعتقد ان سبب ذلك يعود الى الموقف الشعري الذي يتخذه هاملتون وقد كان من هيئة تحرير ملحق التايمز الادبي ، وهو شاعر ، عدا ذلك هناك مجلات ادبية عامة مثل «الانكاونتر » ENCOUNTER وهي ليست فقط ادبية ولكنها ثقافية عامة فيها التاريخ والسياسة والاجتماع واشياء اخرى. وهذه المجلة يرئس تحريرها روائي هو « ناجيل دنيس » ، وقد كان رئيس تحريرها « فرانك كارنل » وهو استاذ الادب في جامعة لندن . ولكن « الانكاونتر » يقراها عموم المثقفين . بينما مجلة مثل « ريفيو » REVIEW لا يقراها سوى المهتمين والمختصين بالشعر . عدا عن ذلك هناك صفحات ادبية تظهر في المجلات المختلفة مثل « سبكتاتور » SPECTATOR و « نيو ستيتسمان » NEW STATESMAN وهناك ايضا المجلات الجادة التي تصدر يوم الاحد مثل « الصنداي تايمز » THE SUNDAY TIMES «والتايمز» THE TIMES والاوبزرفر THE OBSERVER هذا هو وضع المجلات الادبية باختصار كما اعتقد .

● لقد تجددت الان حركة «القصيدة المرسومة » التي تذكرنا بالشعر السريالي ، فهل يضعف هذا من دور الصوت في القصيدة ؟

— لا اعتقد ان الصوت هو العنصر الوحيد في الشعر السريالي . ولكنه ايضا التداعي المسبق بين الصوت والصورة . واعتقد ان الاثر الرئيسي لذلك كان في اواخر الثلاثينات واوائل الاربعينات ، حيث بدات الدادية وابنها السريالية ، اولا في فرنسا بعد الحرب العالمية الاولى . وقد ظهر اثرهما الرئيسي في انجلترا في الاربعينات والخمسينات ، كما كان لهما اثر فيما بعد في امريكا حيث اثرا على شعراء الايقاع في سان فرنسيسكو كذلك شعراء قرية غرينتش . وقد تاخر ذلك الى الخمسينات . وبعض « الحيل » التي اخذها الشعراء عن السريالية في فرنسا واستخدمها الامريكان ، تلقفها الشعراء الشباب في انجلترا في الخمسينات والستينات. ولكن الشعر السريالي الحقيقي في انجلترا كتب معظمه في الثلاثينات من هذا القرن . ولا اعتقد ان اثر ذلك يمتد حتى الان . ولكن الشيء البديل هو ما يسمى بالفرنسية « الشعر المحسوس » وهذا الشعر لا يعتمد



طارق عبدالله

— عضو رابطة الادباء ، ومبعوث جامعة الكويت لتحضير الدكتوراه في الاداب في جامعة اكسفورد في انكلترا .

— اشرف لفترة على مجلة البيان ، وعمل مديرا لتحرير مجلة الرائد التي تصدرها جمعية المعلمين .

— له عدة مقالات وتعليقات ودراسات ادبية منشورة في البيان وغيرها من المجلات الكويتية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كثيرا على الصوت بقدر ما يعتمد على صورته في الصفحة . انه من حيل الرسم الوصفي . بحيث تنفذ القصيدة بشكل خاص على الصفحة المطبوعة، وتكرر الكلمات على نمط معين . وهذه الحركة عالمية اكثر منها انجليزية . ولا اعتقد ان قصائد جادة ومهمة كتبت بهذه الطريقة . والشعر المحسوس يعطي تأثيرا بصريا بترتيب الكلمات . وهذا يقابل الشعر الصوتي الذي يعطي تأثيرا سماعيا وقد حاول بعض الشعراء الانجليز في القرن السابع عشر كتابة قصائدهم على هيئة اجنحة واشكال اخرى . ويبدو لي ان هذا الشعر اقرب الى اللعب منه الى الشعر . على الرغم من انه يمكنك العثور على بعض قصائد جيدة بهذا الشكل .

● في معظم الجامعات التي تضم اقساما خاصة بدراسة الادب الانجليزي ، يتوقف تدريس هذاالادب فيها عند فترة الخمسينات في الشعر والقصة والمسرحية ، اليس من المستحسن ان تمتد الدراسة لتشمل فترة اكثر حداثة ؟!

— عندما كنت طالبا في الجامعة ، لم نكن ندرس حتى اليوت ، بل كانوا يتوقفون قبله . واذا كنت مهتما ، فانك تتابع الادب المعاصر . وهكذا اتوقع ان يهتم الطلبة باخر ما صدر من شعر ومسرحيات وقصص ، ويقراونه بانفسهم . وبسبب عدم تدريس النتاج الادبي الاكثر حداثة ، هو صعوبة الحكم على هذا النتاج الحديث جدا ، هل هو جيد ، ام انه من مظاهر العصر ، او مجرد فقاعة ستزول في سنوات قليلة ؟ واعتقد انني استطيع ان اخبرك بان قصيدة ما جيدة او رديئة ، ولكن لا اعتقد ان هذا الحكم اكاديمي . اذ انه يجب



كينيث اللوت KENNETH ALLOT

- اسناذ الادب والشعر الانجليزي في جامعة ليفربول في انجلترا . (بروفيسور)
- ولد في سنة ١٩١٢ ، وهو بريطاني من اصل ايرلندي
- تلقى تعليمه في جامعتي درهام واكسفورد
- يعتبر من اهم الشعراء الانجليز المجددين خلال الثلاثينات
- اشترك مع و . هـ . اودن واخرين في انشاء مجلة الشعر الجديد NEW VERSE قبل الحرب العالمية الثانية .
- له عدة دراسات نقدية عن (جول فيرن ، ماثيو ارنولد ، جراهام جرين ، براونتج وهابجتون)
- كما صدرت له مجموعة شعرية، ومختارات من الشعر المعاصر ، ومثلت له مسرحية في لندن في اواخر الخمسينات .
- اوكلت اليه مهمة الاشراف على موسوعة كمبردج لتاريخ الادب الانجليزي التي تصدرها جامعة كمبردج .
- يعتبر حجة عالمية في دراسات القرن التاسع عشر في انجلترا وامريكا
- زوجته ايضا ، استاذة في جامعة ليفربول ، ولها عدة مؤلفات عن الرواية الانجليزية ، وهي من اصل لبناني ، وعاشت في مصر مدة من الزمن وتشارك زوجها ميوله العربية .
- حضر الى الكويت في مارس الماضي ، استاذا زائرا بقسم اللغة الانجليزية بالجامعة ، حيث القى عدة محاضرات على طلبة القسم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان تتاح فترة عشرين او ثلاثين سنة على الاقل لكي تستقر الامور .واعتقد انه لا يستحب ان تدرس في منهاج جامعي مقررات اكثر حداثة من عشرين سنة . تستطيع ان تلقي محاضرة عامة عما هو اكثر حداثة من ذلك ، وتستطيع ان تتحدث عنه في المنتديات الادبية ، ولكنه لا يجب ان يكون جزءا من منهاج جامعي كما يبدو لي. لان اشياء كثيرة يجب قراءتها ، وان لم نقراها في الجامعة فلن نقراها اطلاقا. وبعبارة اخرى ، فان تدريس فترة اخر عشرين سنة في الادب ، تتطلب ان تحذف ما يقابلها في المنهج من فترة سابقة . واظن انك تتوقع من الطلبة ان يقراوا الاعمال الادبية الحديثة ويتباحثوا فيها في المنتديات الادبية وما اليها .

● **المثقف في هذا العصر يقف امام منعطف الالتزام السياسي .. فهل ينعطف ؟!**

— اعتقد انه من الصعب جدا لاي مثقف ان ياخذ السياسة ماخذ الجد لقد وجدت في نفسي احساسا غامضا بالتعاطف مع الاشتراكية . ولكن كلما تتقدم بك السن تجد بعض العنصر الفاشي في ذاتك ! وعموما فانه يبدو ان حركة الليبرالية التي شمل تاثيرها كل القرن التاسع عشر . قد تركت بعض التاثيرات غير المستحبة . ويبدو لي ان الحركة نحو المزيد من الحرية، في انجلترا ، قد تجاوزت حدودها . فهي قد وصلت لحرية ادب الدعارة ، وحرية العري التام على المسرح . وقد نشر عدد من الكتب في السنوات القليلة الماضية لم يكن بالامكان نشر امثالها منذ عشرين سنة ، وبسبب الحرية المطلقة للتعبير عن اي شيء، فلقد اساء بعض مخرجي الافلام والمسرحيات وبعض الروائيين ايضا في استخدام هذه الحرية ، لذلك فانها معضلة ان تكون ملتزما بالحرية ، وبكل الحريات ، وباي ثمن ، حرية ان تقول وتفعل ما تشاء ، لان هذا اساءة لاستخدام الحرية . ولا اعتقد بوجود نوع من انواع الرقابة .ولكنني اعتقد بانه يجب ان نكون قادرين على ايقاف بعض المؤلفات على اساس من الحياء العام ، ليس لان ذلك مضر ، ولكن لانه مبتذل وغير مستساغ اما عن الالتزام السياسي ، فانني اميل الى الاعتقاد بان معظم المثقفين الانجليز قد يكونون اكثر ميلا الى اليسار من اي شيء اخر ، الا ان هناك مجموعة صغرى معروف عنها ميلها الى اليمين ، مثل « كينسلي ايمس » صديق الشاعر « فيليب لاركن » وكان عضوا في حزب العمال ، الا انه يتجه الان اكثر الى اليمين . فهو مثلا يدافع عن السياسة الامريكية في فيتنام بينما يقف معظم المثقفين ضدها .

وعموما فانني استطيع ان اقول بان المثقفين في انجلترا يساريون الا ان هناك بعض الاستثناءات مثل«كينسلي ايمس وروبرت كونكوست » الذي نشر مختارات من الاتجاهات الجديدة في الشعر ، وهو محاضر في الدراسات والسياسة الروسية ، ونتيجة لذلك فانه شديد العداء للسوفيات ، وقد نشر مؤلفات جيدة عن معاملة المعتقلين في المعسكرات السوفياتية .

ومشكلة المثقف اليساري هو انه يرى كل الاخطاء في بلاده وكل الفضائل خارجها . وفي بعض الاحيان يرى في خارج بلاده فضائل لا وجود لها في الواقع . انه ينظر بعين واحدة ، وهذه نظرة خطيرة . وعلى الرغم من ذلك ، اذا سالتني عن موقفي الشخصي فسانقف الى جانب الاشتراكيين ، لا الى جانب المحافظين في انجلترا ، فقد يكون الاشتراكيون حمقى ، الا ان المحافظين اكثر حماقة منهم .

● **ما هو انطباعك عن حركات الطلاب وموقف الجامعات منها**

— لم تحدث حركات طلابية كثيرة في انجلترا — ويبدو ان الطلاب هنا اكثر تهذيبا ! — وقد كان هناك عدد من المظاهرات في عديد من الجامعات الانجليزية مثل كمبردج ووارويك . ومعظم هذه المظاهرات تديرها فئة قليلة من الطلبة ، وهم في الغالب « ماويون » . وهم ليسوا اشتراكيين، وليسوا شيوعيين ايضا ، فالشيوعي العادي يشجب « الماويين » . وهؤلاء يستغلون بعض شكاوى الطلبة ويبنون عليها ، ويحصلون على تاييد من القطاع الطلابي الواسع الذي لا يدين بالماوية . وقد كانت لدينا مظاهرات مماثلة في جامعة ليفربول . فلقد احتل الطلبة المبنى المركزي للادارة حوالى اسبوع ، وقد صادف ان كان الفصل الدراسي على وشك الانتهاء ، فتضاءلت المظاهرة . ثم حوكم عشرة منهم امام محكمة جامعية، وطرد اثنان منهم نهائيا من الجامعة ، اما الاخرون ،فلقد اوقفوا عن الدراسة لمدة سنتين . ولم يحدث اي شغب بعد ذلك . وهذه الحركات لا واعية، وهي تقليد للحركات الامريكية التي تلتها تحركات طلابية في فرنسا . واعتقد ان الطلاب الانجليز ظنوا انه يجب ان تكون لديهم تحركات مماثلة، ولكن تحركهم كان اكثر هدوءا مما جرى في فرنسا ، كما ارتبط تحركهم بالقضية العنصرية ، حيث دافعوا عن المهاجرين الملونين القادمين من الهند الغربية وغرب افريقيا ، كما ايدوا حرية الخطابة والتعبير وما الى ذلك. ولكن تحركهم في الجامعات كان ضد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعلية وسلطة الجامعـــة ، حيث طالبوا بان تكون لهم كلمة في الادارة. وانا اوافقهم على ذلك . واعتقد انه يجب استشارة الطلبة اكثر مما هـو حاصل الان . وليس الطلبة فقط ، بل ايضا المدرسون العاديون ؛ فكل شيء يبدو للطالب انه يتقرر على مستوى عال جدا ، وانه يجب ان يتقيد به او يتركه . ونتيجة لاحتجاج الطلبـة ، نجدهم يمثلون الان في عدد من اللجان التي لم يكونوا يشتركون فيها سابقا، ويستطيعون ان يطرحوا اراءهم في هذه اللجان الرسمية . ولدينا في قسم اللغة الانجليزية في جامعة ليفربـول لجنة مكونة من الطلبة وهيئة التدريس وهذه تبحث الصعوبات والمشـاكل التي تعترض الدراسة . ولكن قـدرا كبيرا من العمل ينفذ بلا رسميات ، وذلك بالاتصال المباشر بين الطلبـة، والاساتذة . ولا اعتقد ان هناك كثيرا من عدم الرضى في الجامعات الانجليزية حسب معرفتي . وقد كنت قبل مـدة في كندا ونيوزيلنده ولم اجد كثيرا من التحركات الطلابية هناك .

وحتى في الولايات المتحدة ، نجد التحرك الطلابي قد هدا هناك هـذا العام ، بالضبط مثل عملية تعـاطي المخدرات ، وفي الواقع ان المخدرات ليست قوية الانتشار في الجامعات ، حيث تجد في كندا كثيرا من شـباب الطبقة العاملة يتعاطون المخدرات ، وهم لا يذهبون الى الجامعة اطلاقا .

واعترض ان الذين يتعـاطون المخدرات في الجامعة قليلون جدا ، وربما تجدهم في لندن اكثر من اي مكان اخر . اعني بذلك تلك الفئـة التي لفظها المجتمع ، تسعى للتجمع في لندن ولا تجد كثيرا منهم خارج لندن ، وفي الواقع هم قليلون جدا في ليفربـول مثلا وبرمنجهام ومانشستر . ولقـد ارتبطت الموسيقى الشعبية الجديدة بتعاطي المخدرات ارتباطا تقليديا . ولكنني لا اعتقد ان اثر ذلك قائم حتى الان ، فانك تجد عددا كبيرا من الفرق الناجحة لا يتعاطى افرادها المخدات.

● **يتردد ان الموجـة الجديدة في الجامعات هي تفضيل دراسات العلوم على دراسات الاداب ؟**

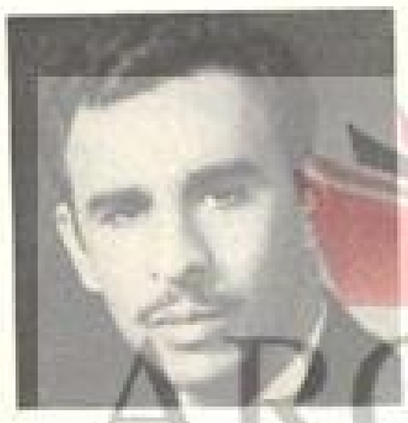
ـ ليس هذا صحيحا في انجلترا . صحيح ان هناك انفاقا على دراسات العلوم . ولقد حاولت الحكومـة تشجيع الطلبة على دراسات العلوم اكثـر من الاداب ، لان للعلـوم استخدامات تجارية . ولكن الواقـع انه في خلال السنوات القليلة الماضية في انجلترا تزايد عدد الطلبة الـذين يدرسون الاداب والعلوم الاجتماعية اكثر من عددهم في دراسات العلوم البحتة والهندسية . وفي الجامعـات الانجليزية تشترط لقبول طالب الاداب مجموعا اكبر من طالب العلـوم او الفيزياء . فالطالب الذي يحمل مجموعا منخفضا نسبيا يستطيع ان يجد لـه مكانا في الهندسة او الفيزياء . ولكنه لا يجد مكانا في التـاريخ او الادب الانجليزي . فبطريقة ما نجد لسياسة الحكومة رد فعل لديهم ، ولم تكـن ناجحة جدا . واعتقد ان الطلبـ يشعرون بان بعض استخدامات العلو سيئة ، فهي تسبب تلـوث البيئة ، والضجيج (الطائرات) ويجدون ان هذه هي نتائج العلوم ، وهم لا يريدون ان يسهموا فيها . ويجدون الافضـل الرجوع للفنون والاداب ، ويعتقدون ان الرسم والتمثيل وكتابة الشـعر وما الى ذلك اقل ضررا ، او اكـثر انسانية . .وفي جامعة ليفربول لدينا طلبة في الاداب اكثر منهم في العلوم. وبالطبع فان تكاليف تعليم طالب الاداب اقل بكثير من تكاليف طالب العلوم ، فانه لا يتحتم عليك في دراسـات الاداب ان تمتلك معدات ومختبـرات غالية الثمن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



طارق عبدالله

همسة حول قصيدة



بقلم
سليمان
الشطي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من خلال تحديد الموقف العام لنا ، نستطيع ان نفهم اية قصيدة ، فليس التحليل امرا خارجا عن الانسان ولكنه بعض من ذاته وجزء من تفكيره واحساسه ، ان القصيدة لا تستطيع ان تنفذ الى قلب انسان اغلقه هو في وجهها ، لهذا كانت القصيدة الناجحة هي تلك القصيدة الحية المتحركة التي تتميز بقدرة خاصة على التعبير عن كل خفقة من كل قلب .. وهذه القدرة ليست عالما سحريا ينفذ دون ان تكون هناك العوامل المحركة لهذا الامر ، ولكن السؤال الاكبر هو ما هي هذه العوامل التي تجعل من قصيدة ما اكثر تحريكا للنفس من غيرها ؟ ما الشعر ؟.. ما الشاعر؟ كل هذه اسئلة تطرح نفسها امام اية قصيدة وفي كل مجال .. لقد قال العلماء والفلاسفة والنقاد وغيرهم .. وغيرهم قالوا وحركوا كل الخلايا في كل العقول . ولكن العملية الشعرية ستظل امرا مبهما ، الاحساس مقياسها ، والموهبة والصدق اساسها ..

●●

نحن الان امام قصيدة الصحة القشيري ولكي نعيشها علينا ان نسلم انفسنا لها ، لا نقف امامها بالضد لنقول : هذا صح وذاك خطأ ، لن نقف امام تيار النهر لنقول له : لنفحص العطاء الذي تهبه ولكننا سننطلق مع تيار الصدق .. سنسمع الكلمة وهمس الحرف .. سنعيش القصيدة ولن ننظر اليها من بعيد او نشرف عليها من اعلى ، انما نحن معها كما يختلط المجرى بالنهر ... والنهر بالبحر .. ليس عن الزخرف او الالفاظ المنمقة او التشبيه المنتقى بل عن نبض الصدق وتحرك الحروف المتألقة ان القصيدة قلب ينبض وليست مدادا في سطر .. من هذا المنطلق سنفهم القصيدة من الخارج والداخل.

من الخارج حيث القصة ..
ومن الداخل حيث القصيدة ..
ومن الداخل والخارج حيث تمتزج القصة بالقصيدة ..

الحكاية .. اصلها يبدأ ككل البدايات الطبيعية .. لقد احب ابنة عمه ورغب في زواجها .. هي ابنة عمه وهو ابن عمها، فالقربى تجمعهما والحب بظلاله الوارفة من فوقهما يجمع اليد باليد .. اذا لم تبق الا الخطوات التي تسبق بداية الحياة

المثمرة المعطاء ، وتقدم لوالده يطلب منه ما يطلب الابن من والده كان كله املا .. بل لنقل انه الامل نفسه يتحرك في شخص الصمة بن عبدالله، ولكن الاشياء تسير بالضد حين يكفهر وجه الزمن ..

قال والده : انني لست معك.

قال عمه : انني اريد مهرا قدره مائة من الابل ..

وقال والده .. لن اعطيك شيئا ...

وجمع الصمة نفسه ، ولجأ الى الصحاب فجمع ناقة وناقة وجملا ..

وسار الى العم يسوق امامه ما جمعه ولكن العدد اقل من المطلوب، لقد اصبح الحب والاسرة والعشيرة والعاطفة وكل شيء نبيل يقاس بالعدد .. تحولت العاطفة الى ارقام ... وويل للانسان حين يخضع للارقام فتموت العواطف .. وهكذا كان .

وثار الصمة .. ونطقت ابنة العم معلقة على المأساة التي كانت هي بطلتها .. لقد باعه قومه بناقة.

وصمم هذا الشاعر الحزين على ان يهجر المكان لان الطريق يذكره بخطواته المتعثرة ، وقطرة الماء تعكس امامه صورة الحبيبة ، وذلك الجبل شهده ، وهو يعيش لياليه الساهرة ، كل شيء يدفعه دفعا الى الهجرة فماذا بقي له حتى يبقى ؟.

وكان الرحيل وسارت به المطايا والتفت صاحبه يقول له :

تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار

عليك — يا صاحب — ان تودع هذه البقلة الصفراء الناعمة الطيبة فبعد اليوم لن نلتقي بها سنودعها وتودعنا عند العشية .

●●

هل شهدنا او هل لنا قدرة على تخيل ذلك الطريق الصحراوي القاحل الذي يفصل بين نجد والشام؟ .. سيان شهدنا او تصورنا المهم ان هناك في ذلك الزمن الساحق سار حبيب محروم وشاعر يحركه الالم ، سار يقطع الفيافي ، كل لحظة تبعده عن الوطن ، وتحفر خندقا كبيرا بينه وبين حبه المهزوم .. لا نشك ان الوجه قد تجهم والنفس ظلت تعيش في سواد الالم والخطوات تسير ، مسرعة كانت او متثاقلة ليس هذا المهم ولكنها تسير وتبتعد .. وبقدر ما تبعد نجد تقترب الشام .. وهذا « البشر » ينتصب مذكرا اياك انك قد تجاوزت نجدا الى الشام .. يا ترى لماذا سموه البشر ؟! .. اهو حقا رمز للبشارة ؟ ولكن ماذا يكون مصير المودعين ، اي اسم يطلقونه على هذا الجبل الذي يلوح لهم مودعا ؟..

كل شيء في الصمة يلتفت الى الوراء يتلمس تلك الاسطورة القائلة: من يلتفت الى الوطن سيعود اليه مرة اخرى ، الا ما اكثر قشات الامل وما اضعف جدواها ، وهناك حيث بداية النهاية تحرك المشط الاعظم . كان النسيم القادم من نجد خفيفا سهلا كأنه يرتل اغنية الوداع ترتيل الحزين المجهد .. يمر على هذه الهياكل المتحركة فيميت ويبعث .. يبعث رونق الحياة بدا يخبو ، يحركه فتومض الجذوة .. ويتحرك القلب متوثبا ، فهذا النسيم جاء يبعث الحياة من جديد .. فنبض القلب انتعش حزنه ، وجاشت النفس فالتفت الصمة الى قلبه وانحنى عليه هامسا:

« حننت الى ريا ... »

نغمة تفيض بالعتاب .. اننا نكاد نلمسه لمسا وهو يفيض من هذه الكلمات الماثلة امامنا ، ان تاء الخطاب هذه تبرز ذلك الانفصال بين الصمة وقلبه . لقد اصبح القلب شخصا اخر ، لذلك يخاطبه وقد انفصل عنه فاصبح شخصا مخاطبا خارجيا يوجه له الخطاب .. ان هذه البداية تكشف لنا عن ذلك الجلد الذي يحاوله الصمة ، ولكن قلبه كان اول من تخلى عنه عندما دب فيه الحنين.

انه حنين الى ريا .. لقد صرح بالاسم .. حتى وهو يعتب على قلبه نراه يترنم باسمها .. لقد كرر الاسم في بيت واحد وبين كلمات محدودة كرره مرتين ، ولا تعليل لهذا الا انه يستعذب هذا الاسم الذي لم يبق له سواه مع بقية من ذكرى.. يستعذبه حتى في مجال اللوم .. ريا التي كانت وراء كل الاحتراق ... وراء الالم والهجرة واليأس والاختيار الصعب ..

... ونفسك باعدت
مزارك من ريا وشعباكما معا

يذكره بانه اختار الابتعاد ، لقد اسند النفس للقلب فقال « نفسك » اي انت صاحب الاختيار فلماذا هذا الجزع والتشكي ؟.

لنحاول تحسس كلمة «باعدت» .. الا نلحظ النغمة الخاصة التي تنفذ الى نفوسنا ؟ هذا المد الكامن في الباء والالف كأن المسافة قد تجسمت فيه .. يمد ويمد ، بل ان البيت كله قد تشبع بهذا المد الذي القت ظلاله كلمة « باعدت » لذلك نحن لا نستغرب الكلمات :

«مزارك» و «ريا» و«شعباكما» ويكون الختام بقوله «معا» بل انني الحظ نوعا من الالتصاق بالحنين والذكرى حين اسمع قوله «وشعباكما معا» كما ان نبرة الحديث انتقلت من العتاب الى اللوم فها هو يذكره بذلك الاجتماع الذي كان يجمعهما معا ، ولنتدرج قليلا مع النبر الذي نتركه «معا» في نفوسنا ولو استطاع الشاعر لكررها اكثر من مرة .. معا .. معا .. بل لعله يضرب برجله ، انه يذكر ذاك الذي فقده ، فبعد المعية كان الانفصال ... والهجر ، وبعد الاجتماع والاصطحاب اصبح الانقطاع والبعد والفرقة ..

بدا الكلام هامسا بعتاب رقيق ولكنه سرعان ما يشتد على هذا الذي قد دب فيه الضعف فانتقل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى مرحلة اكثر حسما واخـــذ يعمم الحـــكم :

فما حسن ان تاتي الامر طـــائعا
وتجزع ان داعى الصبابة اسمعا

نعم .. لنتماسك قليلا ، لتكن ــ على الاقل ــ وفيا لذلك الاختيار الـــذي اخذته ، حديث عام يصلح لكل مجال فهو يضع امامه هذا التحذير الابدي فليس حسنا ولا جميلا ان تختـــار طائعا غير مكره ، ثم بعد ذلك تجزع وتضعف حين تخطر امامك دواعي الشوق .. الخطـــاب لا يزال الى القلب ، واسناد الافعال الى هـــذا الشيء الاخر المخاطب .. ولكن نغمة هذا البيت تختلف عن سابقه فالاول عتاب ليس فيه اي عذر بل انه عتاب قاس انتقل الى اللـــوم في البيت الثاني ، وعند هذا البيت الذي برز فيه اللوم بدا الصمة يضعف قليلا ، فها هو يعذر القلب حين استبد بـــه الشوق لان هناك داعيا للصبابـــة خاصة بقوله « اسمعا » فهذا الداعي قد جاء مسمعـــا فلا لوم اذا كانت الاسباب قاهـــرة .. لقد اسمعك وحركك عنصر خارجي قد لا تملك له ردا ...

والان ما السر في هذا الداعي المسمع ، وبمعنى ادق هذا الفعل الذي ينتصب امامنا .. « اسمعا » ؟ من خلال هذا نستطيع ان نسمع هـــذا الهاتف القوي ، لنحرك حروف هذه الكلمة ، اليس لها صوت ذو رنـــين معين خاصة في حرف السين الذي يبرز صوتها كهامس في سكون ؟.. بدات الكلمات في هذين البيتين بالعتاب الرقيق لترتفع الى نبرة اللوم مع ايجاد الاعذار والمبررات .. وهذه بدورها شجعت على انتقال الحنين الى الركب كله .. انتقل هذا الحديث الهامس بين الصمة وقلبه ليرتفع بعد ذلـــك ويصل الصوت الى الخـــارج حيث الاخرين .. ان هذه هي مسيرة الالم الطبيعية تبدا من النفس لتمتد فتشمل كل الناس انها محاولة للاشـــراك والتعزية .. او لنقل انه البكـــاء الجماعي بصوت مرتفع ، ففي هذا بعض التسرية ، لقد قالتها الخنساء كلمة من قبل :

ولولا كـــثرة البـــاكين حولي
عـــلى اخوانهم لقتلت نفســـي

محاولة لدفع الالم للخارج فالبكـــاء هو الالم المسموع .. لذلك نـــراه يلتفت الى الصحب ناقلا كل الاشـواق التي تحركت :

ــ قفـــا ..

الامر الحاسم الذي جاء يفجـــا فيه صاحبيـــه ، وقبل ان يبدا رد الفعل ، ووسط علامات الدهشـــة والعجب اتبع الامر بأمر اخر يزيل كل ابهـــام :ــ

ودعـــا نجـــدا ..

فعلان من فعلي الامر : قفا .. ودعا .. الامر الحاسم حيث الوقوف كالعادة .. مذكرا ايانا بذلك التقليد الجاهلي القديم .. اذا تطور الموضوع من تلبث يحن وصاحبه بعانيه الى دعوة للوقوف والوداع .. ويمتـــد الوداع بادئـــا بنجد كل وتتوالى الاماكن بتهاوية شطرة حيث يبدو القصيد فيقول :

ومن حل بالحمى ..

الصوت المبحوح متجلجل وهو ينطق بالحاء مبرزا هذا الصوت الذي يصرخ من الاعماق .

ومن خلال هذا الوداع والتصميم والصوت الامـــر الذي يلتفت الى الصحب يدعوهم ، تلتهب العاطفـــة فينسى الوداع لينحدر وينحدر ، لقد جرب الموقف ، فيقول في خشوع :

وقل لنجد عندنا ان يودعـــا

الوداع هو الشيء الوحيد الذي تستطيعه « وقل لنجد وساكنـــه التوديع منا ، لان حقهما اعظم من ذلك » هما كل شيء بالنسبة لنا .. يجسم هذا المعنى بقوله « عنـــدنا » هذه الـــ (نا) لها دلالتها على مقدار الحب الكامن في النفس ، لذلك فنحن لا نستغرب تلك الزفرة العظيمة التي تجمع الماضي والحاضر . المكان والزمان وكذلك الفداء والتحسر :

بنفسي تلك الارض .

كل الفـــداء لها ، افديها بهذه النفس، بل ان هذه الارض كامنة في اعماق هذه النفس لذلك فهو يعدد مآثر تلك وجمالها :

ما اطيـــب الربى .

بديهية ان هذا ليس تعجبا ولكنـــه محاولة لتعميق الاحساس ، انه مزج بين رسم الصورة والعاطفة ، هـــذه العاطفة المشـــبوبة .. طيبة تلك الربى التي ذكراها حملها النسيم .. انه المكان ، وحب المكان والذكـــرى التي امتزجت به .. والزمان ايضـــا له نصيبه الخاص .. كل الزمـــان وليس فقط تعداد اللحظات الجميـــلة ولكنه تصوير الاندماج الذي يتم بين الارض والانسان والزمان . لنسمع :

ما احسن المصطاف والمتربعا

ليس الحديث هنا عن الصـــيف او الربيع ولكنه عن الحركة والصـــورة والناس والذكرى والزمـــان وحتى المكان فالمصطاف والمرتع يختلط فيهما المكان والزمان كما نلاحظ ، وكذلـــك هاتان الصيغتان « ما اطيب » ومـــا « احسن » انهما تتركان عندنا الاثر المراد ... هذه هي الذكرى ، وهذا هو الماضي الذي انتهى فماذا عن هذه اللحظة .. الهاتف يتحرك في نفســـه وينفث في اذنه مزلزلا :

وليست عشيات الحمى برواجع
عليـــــك ...

انتهى كل شـــيء ، نحس مع هـــذه الكلمات بالجزع ، فنلحظ كلمات البيت وهي تلهث . يريد ان يؤكد لنـــا هذه النهاية فتكمل الشطرة عند «رواجع» ويحاول ان يؤكد . اتحتاج القطيعـــة الى تاكيد ؟.. ابدا فكل شيء اصبح واضحا ، ومع ذلك فتعذيب النفـــس واسناد الالم اليها لا يزال قائما، لذلك يبدا الشطرة الثانية في اكمال ما بدا

همسة حول قصيدة

قائلا « عليك » عليك انت وحدك ايها المتألم ...

حركوا معي كلمة « رواجع » هذه ، الا ترون فيها تأكيدا للناس ؟ ان صيغة فواعل تلقي بكل ثقلها علينا كانها صخرة تخرس اي متحرك .

لنحاول تبين معالم الطريق ، ولنربط ما ذكرناه بعضه ببعض لنقول مرة اخرى انه بدا بالعتاب ، وبعدها كان لا بد ان يأتي اللوم ثم يدب الجزع في الكل فتصعد الكلمة الى الحلق ويدعو الاخرين ليكون الامر جماعيا .

●●

يعود مرة اخرى الى نفسه ووحدته حين اصبحت الذكرى ذكراه، لقد عاد لنفسه الان وها هو بعد ان اكد اليأس قائلا :ـ

ولكن خل عينيك تدمعا

انها نقلة نفسية ضخمة ، انه بدا يضعف ويدعو للبكاء، كل هذا كان من وحي الداخل ، وها هي العوامل الخارجية تؤكد الابتعاد ، الطبيعة نفسها بدات تبرز كعامل مؤكد :ـ

ولما رايت البشر اعرض دوننا

هذا السد الكبير والفاصل الاعظم قد اعترض بكل ثقله . ان هذا الجبل ، رمز ضخم لهذا الانفصال ، لذلك فهو يؤكده بقوله : « اعرض دوننا » كأن الجبل لم يكن الا لهذا فهو قد ابدى عرضه اي كل قدرته المانعة ، فليس لهذا الا امر واحد يخففه لذلك :

وحالت بنات الشوق يحنن نزعا

اتذكرون تلك العيون حين تدب فيها الحيرة فتتحرك دون هدف ، عيون الحزن والالم والحسرة واليأس تتحرك ذات اليمين وذات الشمال دون استقرار ، ان من يتذكرها يستطيع ان يتخيل عيون الصمة وهي تتوثب وحولها الدموع تحيط .. انها من بنات الشوق ، هذه الدموع التي بدات تحن وتحن ، هذا النزع الذي تحس بقسوته .. لذلك وبعد هذا الضعف ودواعي الشوق الكثيرة كان لا بد من ان نسمع منه قوله :

بكت عيني اليسرى

ان صراعه مع الالم يتبدى امامنا قطرة قطرة ، حاول ان يكتم ويكتم ولكن الجزع تسلل اليه ، لنقل انه شجاع فقد خاض ضد نفسه معركة مثل ذلك الذي فتحت امامه مسارب متعددة لا يكاد يسكت جانبا حتى يتفتح اخر. تحرك القلب واللسان ، والدموع طلت تتحرك ، واخيرا دب الضعف في احدى العينين .. الجراح بدا يسيل الى نهايته ، شاعرنا اوصالا يشتد بعضه ليضعف البعض الاخر ..

ويتحرك في محاولة يائسة ليصد هذا الضعف الذي تسلل اليه فهو يتحرك بسرعة خاطفة .

فلما زجرتها ...
عن الجهل بعد الحلم ...

سريعة خاطفة تأتي الكلمات كالسياط ولكن لم يعد للوم مجال ، كل شيء انتهى . لحظة صمت .. كالطفل حين تزجره ويحس في داخله بالظلم ، يصمت لحظة وبعدها تنزل الدموع قطرة قطرة ، تفيض على الجوانب لتسيل خطوطا كئيبة على الخد .. لذلك علينا ان نصمت بعد المقطع السابق لحظة وبعد ذلك نصل الى ختام هذه المرحلة التي تتميز بالانهيار التام وهو يقول :

اسبلتا معا

النهاية لم تكن متوقعة، ارادان يسكت عينا فقاضت الاثنتان .. وانتصر الشوق اخيرا ، كل هذا يجسمه قوله « اسبلتا معا » ففيهما كل الانهيار الذي يمثل قوة عاصفة الدموع انه التدفق الذي تشعرنا به هذه الكلمات لم يقل « ادمعتا معا » مثلا، فليس هناك دموع ولكنه جيشان الدموع المصور للعاطفة هوالاساس .. لقد ضعف الصمة اخيرا ولم يستطع ان يتماسك اكثر مما فعل ، وكان لا بد ان يأتي هذا الختام الجميل في اخر بيتين فهما وحدة متكاملة يمثلان المرحلة الاخيرة ،مرحلة الانحدار ، ويدلان على انه لم يعد ذلك الصابر الذي يلوم القلب ويزجر العين ... لنرتل معا :

تلفت نحو الحي حتى وجدتني
وجعت من الاصغاء لبتا واخدعا
واذكر ايام الحمى ثم انثني
على كبدي من خشية ان تصدعا

انتهى الحوار ، ... كانت العين اول من استجاب ، ثم كانت الاستجابة الكاملة ، وانتظر القلب ، لقداشعرنا بهذا التعبير ، البيت السابق كما اسند الفعل اليه كمتكلم « تلفت ».. لقد عاد الالتحام مرة اخرى بين القلب وصاحبه وليس هذا القلب عنصرا خارجيا مارقا ولكنه حركة عاطفية جامحة شملت الكل ، تمثل هذا في الالتفات الذي لم يكن تلفت العجل ، ولكنه تلفت مديم النظر الذي لا يكل ولا يمل حتى دب الوهن والالم في العروق .

لن نستطيع ان نجتزيء الصورة او نقطع البيتين فهي صورة كاملة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يحدها اطارها الخاص تؤخذ اوتترك ككل .. ولكن علينا ان نتخيل الصمة في ذلك الموقف حين ركز كل عواطفه وحواسه وجسده في الخلف ، لم يكن الراحل الا جســـدا ترك كل فؤاده خلفا ، وويل للراحل وزاده الخواء. . انرى هل يستطيع مصور مهما كانت قدرته ان يهبنا تجسيما لحال العاشق المهاجر الذي يعيش الخلف . فينظر وهو يتهاوى قطعة قطعة حين تدب ذكرى الايام الجميلة ممزوجـــة بآلام الفراق تحرك كل خلية ، وينبض لها اصغر عرق في ارق نبض واقســـاه فتكون تلك النظرات التائهة وتلك الايام التي كانت فيها كل اسباب السعادة ، فتؤلم الذكرى ويلتهب كل الجسد ، فينحني في جزع وخوف والم .

كل الفاظ هذين البيتين توحي بالختام لان الانهيار طابعها ، من كثرة الالتفات كان الالم ثم الانحناء عـــلى الكبد التي عيل صبرهـــا فضعف الجسد فتكور الصمة يحيط الكبـــد كانه يريد ان يمنع طـــائرا من ان يطير من فؤاده ويحمي هذه الكبـــد من الانفطار جزعا ويأسا .. يغـــالب ويغالب حتى غلبته نفسه على نفسه .

ان لهذين البيتين نفس الرنـــين الخاص الذي تميزا به ، وقد اعجب القدماء بكلمة « اخدعا » ولنا الحق في ان نعجب معهم بل اننا نلحظ امرا اخر ليس فقط جمال اخدع في مكانها ونعني به هذا التقسيم الايقـــاعي في قوله لينا واخدعا .. ان فيهما ايقاعا خاصا يوحي بالشمول الذي يأتي من التفصيل (نفس التفصيل الذي يجعلنا نحس بقول جاء محمد واحمد وعلي الـــ ....) واحساسنا بقولنا حضر الجميع بل ان موقع « لينا واخدعا » في الاعراب اكسبهما ايضا هذه القوة وهذا الشمول لانهما حولا عن اعرابها الاصلي فاصبح « لينا » تمييزا وهذا اكثر قوة فالاصل وجع لينتي واخدعي، ولكن هذا التحويل جعل الالم شاملا.

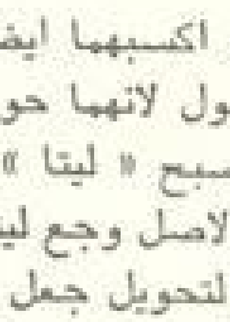
ولا يخفى علينا تركيب الالفـــاظ في اخر شطرة من الابيـــات حيث الخشية والتصدع ، والقسوة التي تشعها كلمة « تصدعا » لذلك فـــلا غرابة في ان سبقتها كلمة الخشـــية وهل يلائم الخشية الا التصدع ، اما ذكر الحي هنا فاشبه ما يكون بذكر النادب منه من ذكرى المتماسك لنفسه عكس الابيات السابقة .

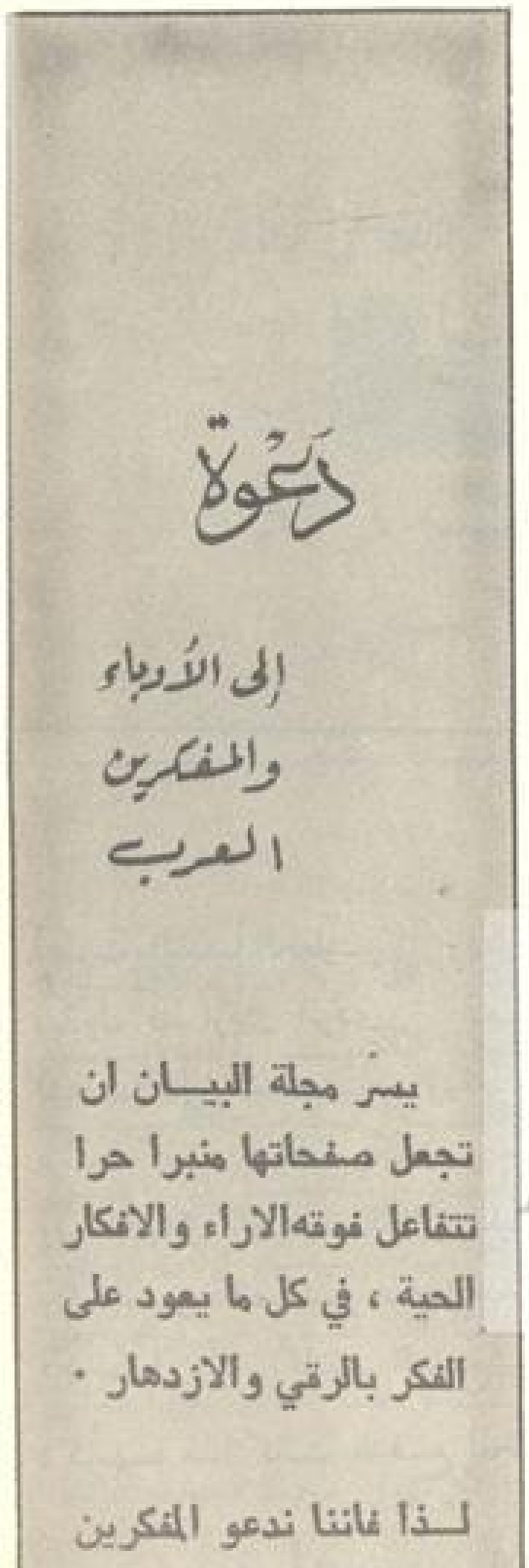
واجمال القول ان هذه المقطوعة تتميز بتلك الوحدة الهامة التي سيظل يبحث عنها كل النقاد ويدور حولها الدارسون ونعني بها وحدة العاطفة، اي ان القصيدة كلها تنبعث عاطفة واحدة من اول بيت حتى الاخير لاتحس بالانقسام او الجزع الى اخر هـــذه العواطف ، وحدة عاطفية واحدة تبدا معنا من اول حرف في القصيدة الى اخر حرف فيهـــا .

اخـــيرا :

هذه هي قصيدة الصمـــة ، انسان في قصيـــدة بكل عاطفته الجامحة وخلجاته الدقيقة ، حركـــة كاملة تجسم امامنا حقيقة ازلية تظل مع الانسان ما دام ، حقيقة العاطفة التي تخترق كل الحجب لتربط بين كل النبضات المضيئة في كل العصـــور فنحن اذاً كلنا مع القصيدة كما انهـــا بعض من ذوب انفسنا ...

●●





يسر مجلة البيـــان ان تجعل صفحاتها منبرا حرا تتفاعل فوقه الاراء والافكار الحية ، في كل ما يعود على الفكر بالرقي والازدهار .

لـــذا فاننا ندعو المفكرين والادباء في كـل انطار الوطن العربي الى اعتبـــار مجلة (البيـــان) الصوت الحر النـــاطق باسمهم . وسوف نرحب بكل ما يصلنا من نتـــاجهم .

(البيـــان)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيض الأحقاف "١"

شعر الدكتور محمد عبده غانم

أعلمتَ بالنبأ الخطير يطغى على نهج الاثير
ويقول قد اودى الردى بعليّ احمد باكثير
أذهلتَ مثلي للمصاب ووقعه العاتي العسير
ارأيتَ كيف الخطب يكبر حين يرمق بالكبير
ويردّ أنفاس الحياة الى الغياهب في القبور
والى جمود الصامتين مع الحجارة في الحفير
فكأنها ما كانت النبع المفجر للشعور
وكأنها ما كانت الدفع المجلجل في الضمير

• • • •

لم يمض منذ رأيته الا اليسير من الشهور
في داره في ضفة النيل المصفق بالنمير
وهو الكثير فليس يلقى الضيف الا بالكثير
وهو الأثير فليس ينسى الود للماضي الأثير
ايام كان العيش في شرخ الصبا الغض الغضير
ايام تجمعنا به "عدن" على الامل المثير
ايام كان يزورنا في حلقة النادي النضير
فيهز آفاق النديّ بشعره العذب المثير
ويجيبه الانشاد في وهج شجي مستطير
لحنا تردده الشبيبة في العشي وفي البكور
قد فاض بالالق الندي على الثرى وعلى الصخور

• • • •

للحضرمي مع النبوغ مواقف الشرف الشهير
من عهد دمّون (٢) البعيد وشأوه السامي الخطير
ايام قاد الشعر قيثار امريء القيس الاسير
ايام دارة جلجل (٣) والغيد في شط الغدير
ايام وافاه النعي بما دهى رب العشير
ايام اهرق كأسه وانحاز عن درب الفجور
ايام أقسم أن يلاقي الموت من أجل المصير

• • • •

مجد توارثه البنون يجود بالغدق الغفير
فاذا علي (٤) في ربى حقات (٥) يهتف في حبور
لي بعدُ بالضليل (٦) جدي أسوة للمستنير
واذا بهمّام (٧) بشط النيل ينعم بالخرير
واذا به يستاف من خصل الربى ألق العبير
واذا بنسل الخالدين يشع بالفيض الوفير
واذا يراع الملهمين على الصحائف في صرير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بمناسبة مرور عامين على وفاة الأستاذ الشاعر" والكاتب المسرحي الكبير علي أحمد باكثير

الحضرمي اليمني

واذا « باسلاماه » تدعو المسلمين الى النفير
للذود عن قدس العروبة والدفاع عن الثغور
واذا « بمسمار » الحماة يدق في نعش المغير
واذا بصهيون تدان بربها رب الشرور
« بأله اسرائيل » حين يقول بالعرق الحقير

. . .

أنّى لفضل الباكثير على العروبة من نظير
كم وقفة له في رحاب الفن والفكر الهصور
تدعو الى نبذ التوافه والسفاسف والقشور
وتعالج الداء الخبيث وقد توغل في الجذور
« شيلوك » « شعب الله » و « الفرعون » تدوي بالنكير
و « السر » و « القصران » صاغا الجد في عبث القصور
و « القس » تروي كيف قاضي الحب يقضي في الامور
و « الحبل » ينشر في « الغسيل » تفاهة الرأي الفطير
ويطيح بالحد الحقير وبالسفاه وبالغرور
ولكم وكم من موقف جلاه في الادب الجسور
يغني المشاعر بالتجارب والتجارب بالشعور

. . .

إن غاب عنا الباكثير فذكره ملء الصدور
وحديثه يجلو الحقيقة للكبير وللصغير
في عالمين من الروائع للسميع وللبصير
تدوي على خشب المسارح أو تجلجل في الصدور
أدبا اعيد لحضرموت به النبوغ الى الظهور
واعيد للاحقاف ما قد كان من فيض غزير
ولأمها اليمن السعيدة ما تألق من عصور

الدكتور محمد عبده غانم

(١) وادي حضرموت .
(٢) بلدة قديمة بحضرموت ذكرها امرؤ القيس .
(٣) يوم مشهور لامرىء القيس مع بعض غنيات قومه .
(٤) الشاعر الاستاذ علي احمد باكثير .
(٥) شاطىء بمدينة عدن كان يرتاده الشاعر مع بعض اصدقائه .
(٦) من قصيدة قالها الشاعر في شاطىء حقات .
(٧) بطل مسرحية الشاعر الاولى وهو صورة للشاعر في شبابه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعر الكويتي الحديث

٢



للدكتور / ابراهيم عبدالرحمن محمد

فهد العسكر وتيار الوجدان الذاتي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) يظهر مما وصل الينا من نصوص الشعر الكويتي ان هذا الشاعر هو رائد تيار الوجدان الذاتي ، فلا نكاد نعثر ، على كثرة ما لدينا من نصوص هذا الشعر ، على شيء يشير الى ان تيار الذاتية قد اخذ يغزو الفن الشعري في الكويت قبل « فهد العسكر » وتدل الاخبار القليلة التي وصلتنا عن فهد العسكر ان مولده يعود الى سنة ١٣٣٢ هـ لاسرة كويتية تنتمي من جهة ابيه الى قبيلة « عنزة » وهي ، فيما تدل اخبار الكويتيين ، ينتسب اليها معظم الاسر التي نزحت الى هذا الوطن منذ فترات طويلة مضت . وقد تربى فهد العسكر تربية دينية هي نفس التربية التي كان يتلقاها التلاميذ على ايامه . ويظهر ان هذه النشأة الدينية قد تركت آثارا واضحة على هذا الشاعر ، اذ تدل اخباره على انه كان شديد المواظبة في ايامه الاولى على مصاحبة ابيه الى المسجد مما عوده على الحفاظ على اداء الفروض الدينية في مواعيدها المقررة ، فيحكي زميله الاستاذ عبدالله زكريا الانصاري ما يدل على انه كان اذا حضرته اثناء لعبه واختلاطه بزملائه ، اوقات الصلاة ، تركهم وسارع الى المسجد . فاذا اضفنا الى هذه النشأة الدينية التي كان يعيشها بسبب طبيعة التعليم السائد في تلك الفترة ، ما عرف من ان اباه كان رجلا شديد التدين عمل فترة غير قصيرة اماما لمسجد « البحر » ، وهي وظيفة لم يلبث ان تركها الى وظيفة حكومية ، امكننا ان نفهم ان التدين كان سلوكا اساسيا لفهد العسكر تلقاه من المدرسة اولا ثم من البيت ثانيا .

وتدل اخبار الشاعر ان اباه اصاب قدرا من الثراء في حياته ، وبسط يده بالنفقة له في ايامه مما مكن الشاعر ، مع انه كان عاطلا عن العمل ان يحيا حياة رخية .

ويظهر ان هذه الايام لم تدم طويلا فقد مات ابوه وفشل الشاعر في ان يجد لنفسه عملا يكسب منه ما يعاونه على الاستمرار في حياته الرخية ، فلم يجد امامه غير ان يبسط يده بالنفقة فيما خلفه ابوه من اموال وعقارات فضيع اكثره . وكان ذلك مدعاة لخلافات

كبيرة بينه وبين اخوته لضياع مال ابيهم على حياته الخاصة .

وقد اتجه الشاعر فيما بعد للحصول على وظيفة في بلاط الملك عبدالعزيز بن سعود . وقدم لهذه المحاولة بقصيدة طويلة يمدح بها الملك السعودي ويعلي من شانه مما ترك اثرا طيبا في نفسه فعرض عليه ان يعمل في وظيفة كاتب مع القوات السعودية الموجودة في منطقة العسير ، ولكن فهدا لم يقبل هذه الوظيفة ، واعتذر بقوله : « انا من حملة الاقلام لا من حملة السلاح »! مما يدل على ان سعيه لدى الملك لم يكن من اجل وظيفة يعيش بها ، وانما كان رغبة في الحصول على مكان في بلاط الملك عبدالعزيز . وهي محاولة على كل حال تكررت من الشاعر في مناسبات اخرى ولدى جهات مختلفة ، ولكنه لم ينجح مما ترك في نفسه شعورا بالفشل والضيق والظلم ، وهي آثار سوف نتبينها عندما نقوم بدراسة اشعاره .

(٢) فاذا ما تركنا هذه المرحلة الاولى من حياة الشاعر الى المرحلة الثانية ، وجدنا ظروفه الاجتماعية والاقتصادية والصحية تسوء سوءا شديدا ، فقد اسلمه الفشل في الحصول لنفسه على مكانة مرموقة الى الحزن والى الشعور بالظلم كما قلنا ، مما جعله يشد السلوى في الوان متناقضة من السلوك الذي كان غريبا عى المجتمع الكويتي المحافظ في ايامه ، فراح ، فيما نقص اخباره ، يدفن احزانه في الخمر عليها نسيه ما كان يشعر به من ضيق وما يحس به من اسى ، وكان اندفاعه في هذا الطريق اندفاعا قويا لا تحده قيود اخلاقية ، ولا مواضعات اجتماعية ، ولا يقف منه هو نفسه عند حدود معينة مما جعل امره يشتهر بين الناس. وكما يحدث عادة في مثل هذه المجتمعات المتخلفة ، فقد تناول الناس سيرته وسلوكه وذهبوا في الحديث عنهما مذاهب بعيدة ، ضخموا فيها اخباره واضافوا اليها بحكم ترددها بينهم كثيرا من التفاصيل والحكايات البعيدة عن الواقع وقد انتهت به هذه التصرفات الى ما كان منتظرا ان تنتهي اليه ، من اعتزال الناس له وتبرؤ اهله منه مما زاد من الهوة بينه وبين المجتمع ودفع به شعوره بالظلم والضياع دفعة قوية اخرى نحو الانطلاق في هذا الطريق الذي فرضت الظروف عليه ان يسير فيه ، نأمن فيما تقول الاخبار ايضا في شرب الخمر واخذ يهاجم المجتمع مهاجمة قاسية يتناول فيها بالسخرية قيمه الاجتماعية والخلقية والدينية ، في اشعار زادت من ضيق المجتمع به ممثلا في اهله الذين كانوا يشعرون بالحرج من سلوكه ، وفي رجال الدين الذين ساءهم ما اخذ يتردى فيه من مخالفات لاخلاقيات الدين ، ومن شعور بالخطر بان يغري بسلوكه هذا غيره من هذا الشباب الذي اخذ يتجمع حوله في ندوات كانت تخلص للشعر وحده دون غيره من فروع الادب ، او امور الحياة على نحو ما كان يحدث في الندوات الاخرى . وقد انتهت هذه التصرفات جميعا بفهد العسكر الى الانفصال عن مجتمعه انفصالا يكاد يكون تاما ، فقد فرض على نفسه عزله صارمة لا يكاد يتصل فيها الا بمن كان قريبا الى نفسه محببا الى قلبه من اصدقائه ومريديه ،ومحبي شعره من الشعراء الشبان . ونستطيع ان نضيف الى هذه العوامل جميعا عاملا اخر لا يقل عنها اهمية واثرا في حياته وشعره وسخطه على الناس ، هو ان هذا السلوك الذي تميز كما قلنا بالافراط في شرب الخمر والثورة على المجتمع ، قد انتهى به الى تدهور في صحته تدهورا شديدا ، فقد اصيب بمرض في عينيه لم يستطع لفقره ان يبادر الى علاجه ، مما انتهى به الى فقد بصره ، فحبس نفسه في منزله لا يكاد يتصل باحد من الناس الى ان مات بآلامه في المستشفى الاميري في شهر اغسطس سنة ١٩٥١ .

(٣) وحين نترك حياة الشاعر القصيرة الحافلة الى شعره تصادفنا مشكلة تتمثل بان ما وصلنا من نتاجه الفني قليل جدا بالقياس الى هذه الحياة الطويلة الحافلة ، وهو امر يجعلنا نبحث عن الاسباب الحقيقية التي عملت على ضياع اشعاره . فقد تواترت بعض الروايات التي تذهب الى القول بان اسرته وامه بصفة خاصة ، قد قامت بحرق اشعاره محاولة منها لاسدال ستار من النسيان على هذه المواقف المتناقضة التي وقفها من الحياة والناس والدين في ايامه ، والتي اطلقت السنة الكويتيين بالنقد والتجريح له ولاسرته. وعلى الرغم من وجاهة هذه الرواية فليس لدينا دليل مادي يمكن ان يطمئن المرء بسببه الى صحتها . صحيح ان اسرة فهد العسكر قد ثارت عليه وقاطعته بسبب سلوكه ولكنه صحيح ايضا ان امه ، فيما تقص هذه الروايات نفسها ، كانت اكثر الناس اشفاقا عليه وحبا له، ولا يتصور المرء ان تحرق بيديها في لحظة من لحظات الالم الخالد ما يتصل بفقيدها من آثار مهما تكن مواقف المجتمع منها ، فهي آثار عزيزة قريبة الى قلوب الامهات . ولكنا لا نعرف على اية حال اين ذهبت اشعار فهد : هل هي حبيسة لدى اهله لا يريدون نشرها على الناس ام انها لدى واحد من اصدقائه المقربين .. ام انها ضاعت فيما يضيع من اخبار الناس وآثارهم ؟

ومهما تكن حقيقة هذا الامر فاننا مضطرون الى الاعتراف بان ما وصلنا من نتاجه الفني على قلته متنوع تنوع حياته ، ويمكن لو احسن درسه وتصنيفه ان يلقي كثيرا من الضوء على اتجاهه الفني اولا ، وعلى طبيعة الحركة الشعرية في الكويت في ايامه ثانيا.

ويقتضينا الوفاء ان نسجل هنا اننا مدينون بكثير من معارفنا عن حياة فهد العسكر واشعاره لمصدرين :



الاول ، كتاب الاستاذ عبدالله زكريا الانصاري عن حياة الشاعر وشعره ، والثاني ، كتاب الاستاذ احمد الشرباصي « ايام من الكويت » . وكتاب الانصاري له قيمة خاصة ، لان مؤلفه كان صديقا قريبا الى قلب الشاعر ونفسه مما مهد له ان يلقاه ويسمع منه وان يحفظ بعض اشعاره . وقد اتاحت له هذه الصداقة ان يسجل في كتابه عنه طائفة من الذكريات الهامة التي نعدها مفتاحا لفهم شخصيته وتفسير اشعاره . وقد عثر المؤلف بالاضافة الى ما دونه من اشعار في هذه الدراسة على مجموعة جديدة من اشعاره التي جمعها من مصادر متنوعة ، منها المجلات والمخطوطات التي كانت لدى اصدقاء الشاعر . كما ذكر انه دون بعض هذه القصائد من روايات شفوية املاها عليه بعض المعجبين بشعر فهد . وهذا كله يجعل لجهود الاستاذ الانصاري قيمة كبيرة فيما نحن بصدده من دراسة المادة الشعرية لفهد العسكر . وقد عثرنا على عدد من القصائد والمقطوعات الشعرية التي كان ينشرها في الصحف والمجلات الادبية في ايامه ، وهذا المجموع الشعري سواء ما عثرنا عليه او ما جمعه «الانصاري» يصلح كما قلنا لان يكون اساسا لدرس حياة الشاعر ويعيننا على تقويم فنه . وسوف نفرد في اخر هذا البحث قسما خاصا ندون فيه ما وصلنا من اشعاره مما لم يسبق نشره ، ونعني به ما لا يزال مخطوطا ، وكذلك ما نشر في المجلات والصحف مما لم يسجله الانصاري في دراسته عن الشعر .

وينبغي لكي نكون قادرين على فهم نتاج فهد العسكر الشعري فهما دقيقا وعلى تفسير حياته النفسية تفسيرا صحيحا ، ان نضع في اعتبارنا حقيقة لا نظن انه بدونها يمكن الوفاء بفهم اشعاره على وجهها الصحيح، تلك الحقيقة هي ان الشاعر كان يعيش في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الكويت الحديث ، وهي مرحلة دخل بها الكويت الى حياة جديدة قوامها نهضة اقتصادية واسعة بسبب اكتشافات منابع البترول واستغلالها استغلالا عمليا منذ اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات . وقد نتج عن هذا التحول الاقتصادي تحول اجتماعي وتحول ثقافي ، يتمثل في شعور الكويتيين وخاصة فئة الشباب ، بانفتاحهم على العالم الخارجي بكل ما فيه من تيارات اجتماعية وثقافية ، وشعورهم بان ما كانوا يعانون منه في الماضي قد انقضى او كاد مما جعلهم يعنون بالتفكير في ذواتهم والرغبة في تغيير ظروف حياتهم تغييرا سريعا واسعا ، تمهيدا للاستمتاع بحرياتهم الاجتماعية والافادة من هذه المدنيات الوافدة عليهم . ويذكرنا ما طرا على الكويت في هذه الفترة من تغير اجتماعي وثقافي بما طرا على الحياة الحجازية في صدر الدولة الاموية من تطورات حضارية تركت آثارا عميقة في الحياة الاجتماعية والنفسية والفكرية في مجتمع الحجاز ، بفضل هذه العناصر الاجنبية التي اخذت تفد على هذا الاقليم بعد هذه الفتوحات الواسعة التي انطلق اليها العرب ، وكذلك ما اخذ يصب في هذا الاقليم من اموال غنمها ، او غلتها البلاد المفتوحة عليهم ، فقد تغيرت الحياة وانعكس هذا التغيير على نتاج الشعراء. ونستطيع ان نقرر هنا ان الشيء نفسه قد حدث في البيئة الكويتية ، فقد اصبحت مركز جذب العناصر المختلفة عربية وغير عربية ، تحمل اليها ثقافاتها وتجاربها ونظم حياتها . ونخلص من هذا الى القول بان فهد العسكر كان يعيش هذه الفترة الخطيرة من التحول الاجتماعي في الكويت ، وكان لا بد ان ينطلق بوصفه شابا ، مع عواطفه واحاسيسه الذاتية يعبر بهما عن آماله في التطور ورغبته في تغيير الحياة من حوله بما يوائم ميله الى التحرر والاستمتاع بهذه الحياة الوافدة . وكان لا بد وهو يسجل هذا كله في شعره ان يصطدم بالتقاليد من حوله ، وهي تقاليد قديمة متحفظة ، على الرغم من هذه التيارات الوافدة وشدتها في مهاجمتها كانت لا تزال على ايامه قوية قادرة على الصمود . وكان لا بد ان يحدث ما يحدث عادة في مثل هذه المراحل من حياة الشعوب من ان يقع امثال هؤلاء الشبان من الشعراء المتحمسين للحياة الجديدة ضحية لهذا الصراع الذي ينشأ بين قيم الحياة القديمة وقيم الحياة الحديثة، وان يشعروا بالغربة والضياع في مجتمعاتهم . وطبيعي ان يشتد العداء بين الشاعر وقومه حين يستجيب هذا الشاعر لخياله الجامح فيذهب بعيدا في التبشير بالحياة الجديدة وبما فيها من قيم مخالفة .

(٤) ويمكننا ان نجمل الخصائص المميزة لشعر « فهد العسكر » ، والتي فتح بها بابا واسعا « للحركة الشعرية في الكويت » نحو تطور اصيل في امرين :

الاول : الاسراف الشديد في الحديث عن نفسه ، والعناية البالغة بتسجيل عواطفه الذاتية ، والحكم على الحياة والناس من خلال هذه العواطف القلقة الحائرة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والثاني : عنايته بالحديث عن الطبيعة ، واتخاذ ظواهرها صورا رمزية على ما في نفسه من احاسيس، او قل ، ان شئت ان تحدد موقفه من وصف الطبيعة في اشعاره تحديدا دقيقا : انه راح يخلق لنفسه عالما من ظواهرها المختلفة ،يخلقه بخياله ، ويلونه باحاسيسه ويراه من خلال ذاته بكل ما كان يثقلها من القلق او الخوف ، من الرضى او الغضب ، من الهدوء او الثورة! ولم يكن في الكويت على ايام فهد العسكر طبيعة كتلك التي بصورها في قصائده : تزدحم بالاشجار والرياحين والورود ، وجداول المياه ، واسراب الطير حتى يقول فيها ما قال ، ولكنه خيال الشاعر « الرومانسي » الذي ينطلق في تصوراته حتى ينفصل بها عن الواقع الذي يعيش فيه ، ويخلق لنفسه عالما من الرياحين والورود والاشجار .

وقد تجلى اهتمام الشاعر بالطبيعة في مقطوعات كثيرة . نختار منها قصيدة راح يرمز فيها عن نفسه بطائر يقف على غصن شجرة ذاوية في فصل الخريف ، ويتطلع حوله فيرى الخريف وقد نشر الموت والدمار في هذه الرياض المورقة التي كانت تملأ حياته جمالا ، فاثاره ذبول الاوراق وسقوطها ، او قل اثار ذكرياته واهاج عواطفه فراح يتحدث عن ماضيه وحاضره ومستقبله في صور شعرية يصف بها الطبيعة في حالاتها المختلفة ويتخذ منها رمزا على آلامه وآماله :

ولهان ذو خافق رقت حواشيه
يصبو فتنشره الذكرى وتطويه
كانه ، وهو فوق الغصن مضطرب ،
قلب المشوق وقد جد الهوى فيه
راى الربيع وقد اودى الخريف به
بين الطيور ، كميت بين اهليه
فراح يرسلها انات محتضر
الى السماء ويشكو ما يعانيه
لا الروض زاه ، ولا الاكمام باسمة
ولا عرانسه سكرى فتلهيه
يجيل ناظره فيه ويطرق في
صمت فيشجيه مرآه ويبكيه
ماذا راى ؟ غير اعواد مبعثرة
على هشيم به وارى امانيه
فللخريف صراخ فيه يذعره
والريح تزفر في شتى نواحيه
حيران ما انفك مذهولا كمتهم
لم يجن ذنبا ، ولم ينجح محاميه !
تطل من كوة الماضي عليه وقد
اشجاه حاضره اطياف ماضيه
يرنو اليها كما يرنو المريض ، وما
ابل بعد ، الى عيني مداويه
وان غفا راحت الاحلام عابثة
به ، فتدنيه احيانا وتقصيه
وكم تراءت له من خلفها صور
يختال فيها الربيع البكر في تيه
فيستفيق ، فلا الاغصان مورقة ،
كلا ولا السامر الشادي يناجيه
فيسكب اللحن انات يغص بها ،
ويح الشتاء فما اقسى لياليه

• • •

ولى الشتاء فوافى الدوح بلبله
وجاء آذار بالبشرى يهنيه
واقبلت سحرا تشوى نسائمه
تهفو وتلثمه شوقا فتشفيه
واستقبل الروض بالاطياف شاعره
وهبت الطير اسرابا تحييه
فاين « داوود » من انغام مطربه
واين (معبد) من الحان شاديه
جذلان يطفر من غصن الى غصن
وبسمة الصبح بالانشاد تغريه
فيورد الشعر آيات يرتلها
من وحي « نيسان » والاوتار ترويه
الروح يدفو لموسيقاه في مرح
والقلب قد شف احلاما معانيه
تكاد تشبع فيه حين يرسله
دقات خافقه والوجد يكويه
ونلمح الفن في دنيا ترنمه
وتشرب السحر خمرا في تغنيه
سكران يرقص فوق الدوح مبتهجا
والورق راد الضحى ولهى تصابيه
الفجر خماره يبدو فيصبحه
والروض معشوقه والايك ناديه
رفت على الورد والريحان شادية
احلامه ، وبها حفت اغانيه
حنا الربيع عليه وهو في جذل
كانطفل حين يناغيه مربيه
ذر الطبيعة يا هذا تدلله
ذره باحضانها يشدو وتسقيه
ذره وافراخه في العش مغتبطا
بقربها ناعما ، دعها تناغيه

وينبغي لكي نفهم هذه القصيدة ، ان نذكر بما قلناه من قبل ، من ان الشاعر كان يعيش فترة تحول اجتماعي وثقافي واقتصادي في الكويت ، وهي فترة كانت ولا تزال لها آثارها الكبيرة على تقاليده



الموروثة — وقد احس ، شـانه في ذلك شـأن غيره من الشعراء ، بهذا التغير الذي اخذ يؤثر في الحيـاة من حوله ، فاستجـاب له لما وجد فيه من نزوع نحو التحرر من تلك القيود الاجتماعية التي كانت تثقل الحياة على ايـامه . ولكنـه اصطدم ، في الوقت ذاته ، بهـذه التقاليد اصطداما عنيفـا ، واحس ان الناس من حوله لم يألفوا هذا التغير الذي اخذ يفرض نفسه على الحياة الكونية ، ولم يتقبلوه بعد . وقد اسلمه ذلك الى شـيء من السخط والحزن ، والاحساس بالغربة ، فعمد كمـا يفعل الشعراء « الرومانسيون » الى احضان الطبيعـة التي خلقها بخياله ، يبثها آلامه ويضفي لها احزانـه ، او يعبر احيانـا عن ثقتـه بالمستقبل ، او قل ، في عبارة مختصرة ، يسقط على الطبيعة ذاته ، فيراها بعواطفه الحزينـة ارضا خرابـا جرداء قد جفت غدرانها وسقطت اوراق اشجارها ، او يراها بعواطفه الفرحة ، جنـة خضراء وارفة الظـلال ، كثيرة الاشجار .

وقد اخذ الشاعر ، في القسم الاول من القصيدة ، من وصف الطبيعة رمزا على ما كان يملأ نفسه من الالم والضيق ، فراح يصـور نفسـه « طائرا » حزينـا يقف على اغصان الاشجار التي عراها الخـريف من اوراقها الخضراء ، وينظر حوله فلا يكاد يرى حياة ، وانما يرى اعوادا مبعثرة على ارض جرداء ، ولا يشجيه غنـاء الطيور ، فقد اختفت ورحلت عن هذا الخـراب الذي يملأ الحياة من حوله ، ولم يبق له الا « صـراخ الخريف » الذي يخيفه ويذعره ، ودوي الريح « تزمـر في شتى نواحيه » ! وهكذا استحالت هذه المنـاظر الطبيعية الجميلة في نفس الشاعر الى خـراب وخوف وذعر — وهو امر اخذ يقوده الى محاولة الهـرب من واقعه الى احلام تبعث الامل في قلبه وترد الثقـة الى نفسه — فلا يكاد يغمض قليلا حتى تتراءى له الاشجـار وقد اورقت ، والطيور وقد عادت الى غنائها بين الاشجار ولكنه لا يلبث ان يستفيق فلا يجد « الاغصان مورقة ولا السـامر الشادي يناجيه » فيرتد الى حيرته وضيقه ، ويطبـق عليه حزنـه .

وهذا التردد بين التشاؤم والتفاؤل ، بين الحـزن والفرح ، بين الضيق بالواقع والخوف من المستقبل ، انما يصور هذه الحيرة التي كان يعيشها هذا الشاعر ، وهذا الضـياع النفسي الذي كان يطبق عليه — وينبغي ان نلاحظ هنا اشـارته الى الشتاء وضيقه به ، فهو يـرد اليه كل ما في حياته من فشل ، وكأننا به يرمز « للشتاء » عن تلك المرحلة التي كان يعيشها ، وهي مرحلة التحول الاجتماعي ، وما كان يقـع فيه من صراع بين التقـاليد الموروثة والتطورات الجديدة — وكما ان الشـتاء مرحلة مؤقتة في حياة الطبيعة لا يلبث الربيع والصيف ان يعقباها فيبعثا الحياة في الاشجار والنشاط والخفـة في الكائنات من الطيور والحيوانات ، فكذلك هذه الاحـزان التي اطبقت على الشاعر لن تلبث ان تزول حين يشـرق عليها ربيع الحيـاة الجديدة !

فاذا انتقلنا الى القسم الثاني من القصيدة الفينـا الشـاعر قد عادت اليه ثقتـه بمستقبله ، وهو يمهد لهذا التحول النفسي بالحديث عن زوال الشتاء الذي يتخذه رمزا على حاضره :

ولى الشتـاء فوافى الدوح بلبلـه
وجـاء آذار بالبشـرى بهنيـه
واقبلت مصحرا تنشـوى نسائمـه
تهفو وتلثمـه شـوقا فتشفيـه
واستقبل الروض بالاطياف شـاعره
وهبت الطـير اسرابـا تحييـه !

وهو بذلك ينقلنا الى جو نفسي تشيع البهجة في ارجـائه ، ويتخذ من وصف جمـال الطبيعة وسـيلة الى تصوير امله في المستقبل ، وايمانه بالتطور — فهو يصور « بلبله » وقد وافى الدوح فاقبلت « نسـائمه تهفو اليه » وتبعث البهجة في قلبه ، والنشاط في نفسه ، فأخذ « يطفر » من غصن الى غصن وقد استخفته هذه الرياض بما فيها من تغير ، فانفتح على الحيـاة واخذ « يورد الشعر آيات يرتلها » ويغنيها على اوتار تخرج الحانا عذبة يقطـر فيها عواطفه وعواطف الناس من حـوله :

واستقبـل الروض بالاطياف شاعره
وهبت الطـير اسرابـا تحييـه
فاين داوود من انغـام مطربـه
واين ((معبد)) من الحان شـاديه ؟!

● ● ●

فيـورد الشـعر آيـات يرتلهـا
من وحي (نيسـان) والاوتار ترويه

وقد ختم الشاعر قصيدته بهذه الابيات التي تصور فتنته بالطبيعة ، او قل تصـور حلوله فيها وتعكس ما

يملأ قلبه من احلام وآمال ، فيقول :

ذر الطبيعة يا هذا تدللـه
ذره باحضانها يشدو وتسقيه
ذره وافراخه في العش مغتبطا
بقربها ناعما ، دعها تناغيه

ويصور هذان البيتان ما اشرنا اليه من قبل من فتنة الشعراء الرومانسيين بالطبيعة عامة وحرصهم على العيش في احضانها — هربا من الواقع الذي يؤرقهم — وعناية « فهد العسكر » بهذا الجانب من التعبير الفني لا يقتصر على هذه القصيدة ، فهو يظهر بوضوح فيما وصلنا من اشعاره الاخرى من مثل قوله :

جاء الربيع وانت راقد قم واشد يا رب القصائد
ما للبلابل حين يبتسم الصباح ، وللمراقد ؟
لك في الرياض اسرة لا كالاسرة والوسائد
غرد فكم اطربت معبو دا وكم جنحت عابد !

ويقول من قصيدة بعنوان : « اعزف على العود » :

هنا الهوى واغانيه العذاب هنا
عرائس الوحي القاها وتلقاني
هنا الرمال ، هنا الامواج راقصة
هنا ، هنا صفت اشعاري واوزاني
هنا الرحيق المصفى والرؤى وهنا
ملهى اللآلىء من حور وولدان ؟!

فاذا عدنا الى القصيدة التي بين ايدينا الفينا تطورا قد طرأ على شعر الوجدان في الكويت يتمثل اولا فيما اشرنا اليه من عناية الشاعر بالطبيعة واتخاذه وصفه لمظاهرها في الفصول المختلفة رمزا على حالته النفسية ، وتصويرا لمواقفه من الحياة والناس ، ولدينا من اشعاره قصيدتان عنون لاحداهما « من وحي الربيع » وللثانية « من وحي الخريف » .

ويظهر هذا التطور ثانيا ، في طريقة استخدامه لمفردات اللغة استخداما جديدا يتمثل في نقل صفات الاشياء بعضها الى بعض ليحدث بذلك اثرا نفسيا يقدر على نقل طاقاته الشعورية نقلا امينا ، من مثل قوله :

لا الروض زاه والا الاكمام باسمة
ولا عرائسه سكرى فتلهيه

فهو يخلع على الاكمام صفات الانسان حين يصفها بالابتسام ، ويخلع على العرائس صفة السكر ، وهو لا يريد هذه المعاني على وجهها الصحيح ، ولكنها رموز كما قلنا على صفات معينة مألوفة في الطبيعة في اوقات الربيع ، وهو يريد بذلك ان يلفت القارىء والمستمع ويجعله قادرا على نقل الطاقة الشعورية التي يريد نقلها اليه . وتعبيرات من مثل قوله : فللخريف صراخ فيه .. والريح تزفر في شتى نواحيه وقوله :

لا الروض زاه ولا الاكمام باسمة
ولا عرائسه سكرى فتلهيه
واقبلت سحرا تشوى نسائمه
تهفو وتلثمه شوقا فتشفيه
وتلمح الفن في دنيا ترنمه
وتشرب السحر خمرا في تغنيه

تدل على مدى ما بلغه التعبير الفني في الشعر الكويتي الحديث على يدي هذا الشاعر من امتزاج بالنفس والمشاعر ، فاخذ يعنى بنقل دلالات الالفاظ الى غير معانيها المعهودة ، وينسب الى هذه « الجمادات » صفات الاحياء من الحس والفكر والشعور ، وهذا الجانب الفني على كل حال يغلب على الشعر الحديث حيث تكثر امثال هذه الصيغ والصور في شعر الوجدان الفردي بصفة خاصة .

وهناك بجانب خلق الظواهر الطبيعية ، ورؤية الاشياء من خلال الذات ، ظاهرة اخرى تكاد تغلب على فن « فهد العسكر » ، بل على فن غيره من الشعراء الرومانسيين الذين تأثروا به ، اعني العناية « بشعر الحب » فيدور كثير من شعر هذا الشاعر حول هذه العاطفة الانسانية في صورها المختلفة وقضاياها المتشابكة ، بكل ما فيها من ثورة على الواقع وجراة على التقاليد ، وخروج على المألوف . وهو يذكرنا ، في هذا الجانب بشعراء الغزل الحجازيين من امثال : عمر ابي ربيعة ، والاحوص وابن قيس الرقيات ، او شعراء العراق في صدر الدولة العباسية من امثال بشار وابي نواس . فهل يدل هذا على سلوك خاص كان يمتاز به « فهد العسكر » ؟ وبعبارة اكثر وضوحا ، هل يعني ذلك ان هذا الشاعر ، على حد ما تصفه بعض روايات معاصريه ، قد انغلقت معاييره الخلقية انغلاقا جره الى العناية بهذا النوع من شعر الحب الصريح ؟

لا اظن ذلك ! فلم يكن في ظروف « فهد العسكر » ما يساعد على ان تنشأ مثل هذه العواطف بصورها الصريحة في حياته ، ولكنه ارتضى ، شأن الشعراء الجدد ، ان يتخذ من الحديث عن هذه العاطفة الانسانية وعاء يصب فيه عواطفه ، ويخلع عليه مواقفه من العادات والتقاليد ورغبته في الانطلاق بقيم مجتمعه الى آفاق جديدة فيها من الحرية والتطور شيء كثير ، او هو ، كما قلت من قبل ، لا يصور تجارب حقيقية بقدر ما يخلق رموزا على ما كان يملأ حياته من خوف وشك وحرمان . وهي احاسيس مختلطة بلغت مداها في قصائد راح يطلق عليها عناوين غريبة من مثل : « شهيق وزفير » و « الشاعر والغروب » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



و « هـــاتي الدواء وكحلي بصري » و « قاتل الله امهـــا واباهـــا » و « ليلة في بيت الجـــارة » !

ولقد بلغ اسراف الشاعر في تصوير عواطفـــه الانـــية في هذه القصائد حدا جعله يتحول باشـــعاره الى « طرطشـة عاطفية » تتكرر من مقطوعة الى اخرى . ويطول بنـــا الامر اذا رحنـــا نقف عند هذه القصـــائد جميعا ، ولكنا نتخير منها هذه الابيات القليلة التي تعكس قلقه وشعوره بالظلم والضـــياع وهي تلك الاحاســـيس التي غلبت كما قلنـــا على اشعاره في مثل قوله :

يـــا مي نـــاب السمع عن بصـــري
في الليـــلة الســـوداء من صـــفر
ذهبـــت فـــلا رجعـــت مخلفـــة
في غـــور روحي اســـوا الاثـــر
مـــاذا اقـــول ؟ وان شـــكوت فمن
جور القضـــاء وقســـوة القـــدر
الصـــدر منقبـــض ولا عجـــب
والنفس نهب الهـــم والضجـــر

● ● ●

قد طـــال هجرك يا ربيـــع فيـــا
لتعاســـة الاطيـــار والزهـــر
دنيـــا المهازل والشـــذوذ غـــدت
نار الليـــوث وجنـــة الحمـــر !
من لي بمشـــنقة احـــز بهـــا
بعض الرقـــاب وصـــارم ذكـــر ؟!

وقـــوله :

صهرت في قـــدح الصهباء احـــزاني
وصفت من ذوبها شـــعري والحاني
وبت في غلس الظلمـــاء ارسلهـــا
من غور روحي ومن اعمـــاق وجداني
يا ليل ! ضاقت بشكواي الصدور وما
ضـــاقت بفل واحقـــاد واضغـــان
فجئت اشـــكو اليك المرجفـــين وهم
لا در درهم ، اســـباب خـــذلاني

يا ليل ! والروح عطشى وهي هائمة
هل في المجـــرة من ري لعطشان ؟
يا ليل ! حســـبي وصدري ملؤه ضرم
تلك البقيـــة فافتح صـــدرك الحاني
يا ليل ! والعين سهرى وهي دامعة
فهل بجنحـــك من راث لســـهران ؟
يا ساقي الخمر ، لا شلت يداك ، ادر
بنت النخيل فان الصحو اضنـــاني
وانضح بهـــا كبدا نهب الهوى وأثر
بالله غـــافي احســـاسي وايمـــاني !

فاذا عدنـــا الى شعر الحب عند « فهد العسكر » الفيتـــاه يمزج هذه العواطف جميعا : عواطف القـــلق والشك والتمرد على التقاليـــد بالحديث عن المـــرأة ، او قـــل يتخذ من الحديث عن حبه وســـيلة فنية الى بيـــان زيف هذه التقاليد ، واعلان تمرده عليهـــا . وقد تجلى هذا السلوك الفني في عديد من القصـــائد التي وصلت الينـــا نذكر من بينها قصيدتيه : « ليـــلة في بيت الجـــارة ، بابي هائمة زفت لهائم » . و « الجارة » في القصـــيدة الاولى ، و « ابنة الشيخ » في الثانية رمزان يجســـمان تحدي الشـــاعر لتقاليد امته ، ويصـــوران جرأته في الحديث عن عواطف الحب ، وهو ســـلوك كان شـــذوذا على ذوق البيئة الكويتيـــة وتقاليدهـــا الاجتماعيـــة الصارمة .

و « ليلة في بيت الجارة » قصيدة طويلة نجتزيء منها هذه الابيـــات :

بـــك بالشـــوق ، بالضنى يا جاره
اســـعفيني بالكـــأس والسيجاره
يا ابنـــة الجـــار ارمض الصحو قلبي
وشجا خاطـــري وشـــق المـــرارة
اخرجيـــني من الظـــلام الى النـــ
ـــور وفرض ان يسعف الجار جاره
يا عـــروس الاحـــلام بالله هـــاتي
وخذي ! ولنفـــض هذي البكـــاره

.....

خفضي العقب ، اوصدي البـــاب ، قومي واطفئي فالشيخ غادر داره
لست اخشى عليـــك من امك السوء فكم رحبت بهـــذي الزيـــاره

.....

يا ابنة الشيخ يا مني النفس ، يا ريحانة الحي اوقـــد الشوق ناره
انقعـــي غلـــتي فبـــين ضـــلوعي
خـــافق شـــفه الصـــدى لا حجاره
واخرجي بي من عـــالم الافك والبهتـــان والبغي والخنـــا والدعـــاره
لسمـــاء الرؤى وشتى الامـــاني
فبنـــات القريض رهن الاشـــاره
حيث يحلو الهوى ويســـكب فجر الحب في كل خـــافق انـــواره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عانقيـــني واطفئي غلـة الـروح فجسمي براه ما في القـــراره
وضـــعي ثغـــرك الشنيب على ثغـري ، وهـــاتي صهباءه بحراره
.....
واصهري كل ما يجيش بصـــــدري
من شعـــور هضم الحقوق اثاره !

يا ابنة الجار ، يا منى النفس لا تاسي اذا ما الواشي اثار غبـاره

● ● ●

وينبغي ان نلاحظ هذه العواطف المختلفـــة : من الغزل والشكوى والتمرد على التقاليد ، والمجـــاهرة بشرب الخمر فاختلاطها على هذا النحو يقودنا الى حقيقة لها خطرهـــا ، هي ان الشـــاعر لا يصور تجـــربة حقيقية على عكس ما كان يظن معاصروه ، ولكنه يخلقها بخيـــال الشاعر « الرومانسي » الذي رايناه في قصيدة « البلبل » يعيش في الرؤى والاحلام ويستعير منهـــا اجنحـــة يطير بهـــا بعيدا عن الواقع الذي يحيا فيه .

وليس عبثا ان يختار الشاعر « جارته » ليزورهـــا في بيتها بعلم من والدتهـــا ، وفي غياب ابيها الشـــيخ ، ويساتيها معه من الخمر التي يحرص على ان يصـــف ولعه بشربهـــا كلما عمد الى الشكوى من خلال حديثـــه عن عواطف الحب ! فهذه كلها رموز كان « فهد العسكر » يعيها ويكثر من ذكرها في اشـــعاره ، ليبعد عن طريقها ضياعـــه في مجتمعه وضيقه بتقاليد امته ، وهي عواطف كما قلنـــا لم يفهمها معاصروه على وجهها الصحيح ، وفتحت على الشـــــاعر بابا واســـعا من الاقـــاويل والظنون ! وقد كشف الشاعر نفسه حقيقة هذه العواطف حين راح في ابيـــات اخرى من القصيدة يشكو الى صديقه « فوضى الادارة » ومضايقة عبيد امته لاحرارهـــا ، واغتيـــال التجار للفقراء ، الى غير ذلك من المشكلات .

وقد باعد الشاعر كثيرا بين رؤاه وواقعه حين راح في قصيدته الثانية ، يستعـــير اسلوب « ابن ابي ربيعه » القصصي في وصف لقـــائه بصاحبته التي جاءته بتحريض من امهـــا ، وقد تخفت في ثيـــاب اخيها النائم ، فاخـــذا يتساقيـــان من الخمر والحب حتى جاء ابوهـــا الشيخ فافترقا غير عابئين بمزاعم النـــاس :

طرقتـــني فجـــر يـــوم المولـــد
وابوهـــا عـــاكف في المسجـــد
فالتـــقى الثغـــران رغم الحسد
وكلانـــا متعب القـــلب صـــدي

● ● ●

غـــادة لم تخش انـــذار ابيهـــا
لا ولم تحفل بتهـــديد اخيهـــا
حين قالت امها : قومي اغنميهـــا
ســـاعة هيـــا معي لا تقعـــدي

● ● ●

فارتـــدت ثوب اخيها وهو نـــائم
وانت تحرســـها والجـــو غـــائم
بابي هـــائمة زفـــت لهـــائم
موجع القـــلب جريح الكبـــد

● ● ●

ثم قـــالت ورذاذ المطـــر
حبس الطـــير ولمـــا يطـــر
هات بنت النخل يا ابن العســـكر
لا يطـــاق الصحو في ذا البلـــد

.....

هاتها بيضاء من خمر العـــراق
كم بها حلق بالندمـــان ســـاقي
ولنعاقرهـــا معـــا قبل الفـــراق
ثم قـــامت ونضـــت ما ترتـــدي

.....

وأفقنـــا فاذا بالشـــيخ قـــادم
وكلانـــا مطمئن النفـــس ناعـــم
وأفترقنـــا ولنقمْ شـــتّى المزاعم
فَلَظَىَ ، مـــاوى الاثيم المعتـــدي

وواضح ان الشـــاعر قد جعل المراة ، على عكس « ابن ابي ربيعة » في قصته المعروفة ، هي التي تسعى متخفية في ثيـــاب اخيها للقـــاء صاحبها ، وهو تحوير له معـــزاه ، ويمكن تفسيره في ضوء الرموز الاخـــرى التي جاءت في هذه القصيدة : من لقائه لصاحبته يـــوم الجمعة ، وهو مناسبة دينية ، وابوها الشـــيخ في المسجد يصلي ، ومن تستر امها عليها ، ومن مشاركتها له في الســـكر ! وهذه كلها رموز تعكس تمرد الشـــاعر على تقاليـــد بيئته الدينية والاجتماعية ، وتصور رغبته في الكشف عن زيفها ! ولا نشك في ان « فهد العســـكر » قد مهـــد ، بهذه القصائد الغزلية ، لتطور اصيل في شعر الحب ، حين مـــال به نحو معالجة القضـــايا الاجتماعيـــة ، وفتح باب الرموز امام شعر الوجدان في الكويت على نحو ما سوف نرى في الحلقات المقبلة .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تراجم الرجال وأعيان الفكر وفق العصور



بقلم
محمد عبد الغني حسن

تلفت نظرنا في كتب التراجم واعيان الرجال طائفة من الكتب تترجم لرجال الفكر العربي وفقا للقرون ، لا وفقا لطبقاتهم ، كما فعل مؤلفو الطبقات ، ولا سنة سنة ، كما فعل ابن العماد الحنبلي في كتابه « شذرات الذهب » .

واول من وصل الينا علمه من كتاب التراجم وفق العصور او القرون هو الثعالبي صاحب كتاب « يتيمة الدهر » ، والمتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، فقد تناول الرجل في كتابه هذا اعلام الشعراء في القرن الرابع الهجري وبدا في تاليفه والعمر في اقباله والشباب في اوائله ، فلما تقدم في العمر مرحلة راى ان يعيد النظر فيه ، وان يبسط فيه عنان الكلام ، وان يراجعه بالتنقيح والزيادة والنقصان حتى بلغ المبلغ الذي وصل الينا فيما وصل من تراث . واللطيف في « يتيمة الدهر » ان صاحبها لم يقصرها على رجال قطر بعينه ، ولا بلد بذاته ، بل تناول فيها الحديث عن شعراء الشام ومصر والموصل والعراق وفارس وخراسان والمغرب ، فيتنقل القاريء فيه بين ارض عربية الى غيرها في خلال فترة معينة من القرن الرابع الذي يترجم الثعالبي لشعرائه .

وظلت فكرة التراجم وفق القرون محتجبة في القرنين الخامس والسادس — او على وجه الدقة لم يصل الى علمنا كتاب في الترجمة لرجال هاتين المائتين — الى ان جاء القرن السابع فرانينا المؤرخ « علم الدين البرزالي » المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ينهض بتاليف كتاب عنوانه « مختصر المائة السابعة » في تراجم اعيان ذلك القرن ، فكان بذلك — فيما نعلم — اول مؤرخ معروف لدينا للتراجم العامة وفق القرون . وفي ذلك القرن نفسه جاء المؤرخ الاديب المصري الادفوي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ فالف كتابه « البدر السافر وتحفة المسافر » في تراجم اعلام القرن السابع الهجري . ولا يزال هذان الكتابان مخطوطين في بعض مكتبات اوربا وحبذا لو اتيح لهما من ينشرهما ، حتى تظل سلسلة التراجم المئوية موصولة بلا انقطاع .

ولقد كان لاديب مؤرخ من رجال الاندلس في القرن السابع ان يترجم لطائفة من شعراء القرن السابع في كتاب سماه « الغصون اليانعة ، في محاسن شعراء المائة السابعة » . وهذا الاديب هو علي بن سعيد المغربي صاحب كتاب « المغرب » الذي الفه بالمشاركة والموازنة بضعة من علماء الاندلس على مدى مائة وخمس عشرة سنة .

والطابع الذي يطبع كتاب الغصون اليانعة ، ان صاحبه قد جعل الترجمة فيه وقفا على شعراء القرن السابع لاغير . فلم يتجاوزهم بالترجمة لغيرهم من العلماء والفقهاء والقضاة والاطباء والنحاة مثلا ، فكان بذلك كتابا مقصورا على طبقة واحدة هي طبقة الشعراء .

وجاء القرن الثامن فاذا بنا امام مؤلف ضخم طويل في الترجمة لاعيان ذلك القرن على اختلاف طبقاتهم ، واذا بنا نجد العلامة المؤرخ ابن حجر العسقلاني المتوفى

سنة ٨٥٢ هـ يصنف كتابا عنوانه « الدرر الكامنة ، في اعيان المائة الثامنة » ، فلا يقف بالترجمة عند طبقة بعينها من رجال الفكر العربي ، ولكنه يوسع نطاق الترجمة لكل شخصية اسهمت في الحركة الفكرية لذلك القرن ، فيترجم للفقهاء والمفسرين والمحدثين والعلماء والمؤرخين والنحاة واللغويين والشعراء والاطباء ، بل يوسع مجال الترجمة لغير رجال العلم والادب من ملوك التتار وامراء المغول وسلاطين الاتراك ، مما يجعله مصدرا هاما من مصادر التاريخ الاسلامي في القرن الثامن الهجري . على ان ابن حجر ، مع بالغ حرصه على الترجمة لغير رجالات العرب من المغول والتتار ، قد فاته ان يترجم لرجال الهند لبعد ديارها عنه ، وقلة ما لديه من الوسائل للاتصال بهم او ندرتها ، فكان في الكتاب بهذا ثغرة قام السيد عبدالحي الحسيني من رجال القرن الثالث عشر الهجري بسدها ، فالف كتابه « نزهة الخواطر » مترجما به علماء الهند واعيانها في القرن الثامن وبهذا كان كتاب « النزهة » مكملا لكتاب « الدرر الكامنة » او ذيلا له ، ولا غنى لمكتبة عنه ، بل لا بد من الجمع بينهما لاستكمال تراجم القرن الثامن في مختلف الاقطار العربية والاسلامية . .

ولم يفت ابن حجر ان يترجم في « الدرر الكامنة » لاعلام النساء في القرن الثامن. وبذا انصف المراة المسلمة العربية واعطاها حقها من الترجمة لها ، والاشادة بها والتعريف بمجالات جهدها ونشاطها ، وقد كانت المراة المسلمة دائما في حسابه وهو يؤرخ ، فترجم للمحدثة وراوية وعابدة وزاهدة . وقد املا كتابه بمئات من تراجم النساء جعل اسماءهن مع اسماء الرجال في ترتيب هجائي واحد ، فلم يجعل في كتابه قسما للرجال ، وآخر للنساء ، بل الف بينهم في ابجدية واحدة ، فنجد ترجمة المحدّثة « نخوة » بنت زين الدين تاتي مباشرة عقب الترجمة لنجيب بن بيان الحلبي . ويصور اهتمام ابن حجر بالترجمة للمراة العربية موقفا لا نجد له موازيا في كتاب « وفيات الاعيان » لابن خلكان ، الذي كانت المراة العربية قلة نادرة فيه . وهو موقف يذكرنا بابن سعد في طبقاته الكبرى ، فقد اكثر من الترجمة للصحابيات والتابعيات الى حد نحمده له .

واذا كان ابن حجر قد اهتم في « الدرر الكامنة » بتراجمه لرجال الحديث النبوي وحفاظه فان اهتمامه لم يقل بغيرهم من العلماء والفقهاء والمفسرين والادباء والشعراء ، على ان اهتمامه بالحفاظ والمحدثين يوضح لنا عقليته ولون ثقافته ، فقد غلبت على الرجل دراسات الحديث ورجاله ورواته ، وخاصة ان الكثيرين منهم كانوا شيوخه وشيوخ شيوخه .

وقد لقي ابن حجر كثيرا ممن ترجم لهم وخاصة من رجال الحديث ، الذين عرفهم عن كثب واطلع على مروياتهم واحوالهم . ولكنه افاد فوق اللقاء الشخصي في الترجمة من الرجوع الى مصادر ذكرها في مقدمة كتابه ، ولم يخفها — كما يفعل بعض من لا خلاق لهم — ولكنه — شان العلماء والامناء — سجلها في تقديمه بين يدي كتابه وذكر انه استمد منها . ومن هذه الكتب والمصادر : « اعيان النصر » لابي الصفاء الصفدي و « مجاني العصر » لابي حيان ، و « الوفيات » لتقي الدين ابن رافع ، وخطط المقريزي ، و « الاحاطة في تاريخ غرناطة » للوزير العالم الاديب لسان الدين بن الخطيب، وتاريخ ابن خلدون وغيرها ...

ومنذ كتاب « الدرر الكامنة » لابن حجر في تراجم رجال المائة الثامنة اخذت تظهر كتب التراجم للقرون الاسلامية التالية ، فلم يخل قرن بعد ذلك من كتاب او اكثر للترجمة لاعيان ذلك القرن . ففي القرن التاسع ظهر كتاب « الضوء اللامع ، في اعيان القرن التاسع » للسخاوي المؤرخ المصري المتوفى سنة ٩٠٢ هـ وهو كتاب جيد في موضوعه لولا ما اشتهر به الرجل من تحامل شديد على بعض منافسيه او معاصريه فقد تناول كثيرا من رجال عصره بالتشهير والتجريح ، والنقد والغمز ، ورماهم بالقصور ، وضعف الرواية بل رمى بعضهم باكثر من هذا ، فطعنهم في عدالتهم او عفتهم او نزاهتهم وخاصة اذا كانوا من طبقة القضاة والحكام. وهو في هذا يخالف استاذه وشيخه ابن حجر ، الذي كان الحب بينه وبين تلميذه متبادلا الى حد بعيد ..

ومن كتب التراجم والطبقات للقرن العاشر الهجري نجد منها كتاب « الكواكب السائرة باعيان المائة العاشرة » للمؤرخ نجم الدين الغزي المتوفى سنة ١٠٦١هـ وقد طبعت اجزاء من هذا الكتاب في مطبعة الجامعة الامريكية ببيروت بتحقيق الدكتور جبرائيل سليمان جبور وللمؤلف منهج في كتابه هذا ، فقد جعل كتابه ثلاثة اقسام: الاول منها للثلث الاول من القرن العاشر ، والثاني للثلث الثاني منه والثالث والاخير للثلث الثالث والاخير من القرن العاشر ، وجعل لكل قسم او كل ثلث قرن ترتيبه الهجائي الخاص به من حرف الهمزة الى الياء . وبدا كل قسم باسماء المحمدين جريا على ما كان يفعله كثير من كتاب التراجم والطبقات تأدبا مع اسم النبي عليه السلام .

وقد اضاف النجم الغزي الى تراجم رجال دمشق وحلب والقاهرة والحرمين الشريفين تراجم نبذة من رجال الدولة العثمانية المتوفين في القرن العاشر . وقد اعتمد في تراجمه على المقابلة والمشافهة من ناحية ، والنقل عن بعض الكتب المعاصرة من ناحية اخرى ، مثل كتاب « الشقائق النعمانية » ولم يتحرج ان ياخذ مادة التراجم من بعض كتب لم يعجبه تصنيفها ، لاشتمالها على الغث والسمين ، والنافه والثمين ولكنه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجد فيها مادة للمترجم لهم ، كتاب « بدر الحبب في تاريخ اعيان حلب » الذي يقول في نقده : « وهو كتاب في مجلد ضخم ثخين ، وربما طول فيه بعض التراجم بما لا تعلق له بالمرام ، وليس له بفن التاريخ التئام ، وربما اكمل الاسماء — لئلا يخلو الحرف من التراجم — بنقاش او تاجر او مغن او مطنبر او عاشق او معمار او غيرهم من العوام ... »

وهناك في القرن العاشر نجد ايضا كتاب « النور السافر عن اخبار القرن العاشر » لعبدالقادر العيدروس وقد مزج فيه بين التاريخ وتراجم الرجال .

ويجيء القرن الحادي عشر فنجد فيه كتاب « خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر » للمؤرخ محمد امين بن فضل الله المحبي المتوفى سنة ١١١١ هـ، وهو مطبوع بمصر في اربعة اجزاء . وهناك كتاب « سلافة العصر » لابن معصوم ، وهو في تراجم شعراء القرن الحادي عشر . اما كتاب « الجواهر والدرر ، في تراجم اعيان القرن الحادي عشر » فيتسع لتراجم الشعراء وغيرهم من رجال الطبقات ، وقد صنفه عبدالرحمن بن حمزة الحسيني ، ولا يزال مخطوطا ، وتوجد بعض اجزائه الخطية في برلين .

ويتابع مؤرخو القرن الثاني عشر الهجري خطوات اسلافهم في التأليف لتراجم الرجال وفق القرون ونجد على قمتهم شيخ الاسلام محمد خليل المرادي المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ حيث ترك لنا كتابه « سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر » وقد طبع اولى طبعاته في اربعة اجزاء ، ثلاثة منها في الآستانة والرابع في طبعة بولاق بمصر .

ولم يخل قرن من قرون التاريخ الهجري بكتب التراجم المئوية كما خلل القرن الثالث عشر ، فقد ظهر فيه كتاب جليل القدر على صغر حجمه للعلامة المرحوم احمد نيمور باشا المتوفى سنة ١٣٤٨ هـ وعنوانه «تراجم اعيان القرن الثالث عشر ، واوائل الرابع عشر » . وفيه اربع وعشرون ترجمة،ويظهر ان المؤلف كان في نيته اتمام الكتاب الا ان المنية عاجلته ، فلم يستوعب تراجم القرن الثالث عشر كله ، وقد طبع ما وجد مخطوطا في الاصل بعد وفاة صاحبه ، كما طبع له اخيرا كتاب « اعلام الفكر الاسلامي في العصر الحديث » ، وكان من حظي ان انشر له مقدمة تشتمل على دراسة تحليلية .

وقد اهتم الشيخ محمد جميل الشطي الدمشقي بالترجمة لاعلام الشام في القرن الثالث عشر ، فكان كتابه « روض البشر » وله ذيل في تراجم اعيان النصف الاول من القرن الرابع عشر .

اما كتاب « حلية البشر ، في تاريخ القرن الثالث عشر » للشيخ عبدالرزاق البيطار فقد اصدره مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦١ في ثلاثة اجزاء كبار بتحقيق حفيده الاستاذ محمد بهجت البيطار ، وهو جليل في موضوعه ، سخي في مادته ، شامل في تراجمه ، يترجم لاعلام العرب والاسلام في كل قطر من المشرق الى اقصى المغرب ، ويترجم للمشهورين والمغمورين من رجال ذلك القرن ، ويترجم لجماعة لم ترد لهم ترجمة في كتب التراجم ومعاجم الرجال والمؤلفين ، كمعجم المؤلفين للاستاذ عمر رضا كحالة ، و « الاعلام » للاستاذ خيرالدين الزركلي . وقد افدت منه فوائد جليلة في كتابي الذي الفته عن « الشيخ حسن العطار » في مجموعة نوابغ الفكر العربي التي تصدرها دار المعارف ، ووجدت فيه من المعلومات ما لم اجده في غيره .. وامدني بما لم يمدني به كتاب آخر .

واذا كان « حلية البشر » قد اتسع في حجمه الضخم لاعيان العرب والاسلام في كل قطر ، فان هناك كتابا قد اقتصر على تراجم رجال العراق في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، وهو كتاب « الدر المنتثر » للمرحوم علي علاء الدين الالوسي الذي اشتغل بالقضاء واشتهر به حتى عرف بالقاضي ، وتوفي سنة ١٢٣٨ هـ ، وقد ترجم في كتابه لبضعة وعشرين رجلا من رجالات العراق . ولم نستطع ان نعرف لتراجمه القليلة العدد اسبابا للاختيار ، او منهجا لترتيب الاعلام . فقد بدا بمحمد امين السويدي ومحمد امين الواعظ واعقبهما باسماعيل وأحمد ابني علي شرف ، وعبدالسلام الشواف، ثم عاد الى حرف الهمزة في ترجمته لابراهيم البصري ، وهكذا على ترتيب حروف المعجم على غير ترتيب .

وبعد ، فهذه مؤلفات تراجم الرجال التي تحمل في عناوينها اسماء القرون التي تترجم لاعيانها . على ان هناك كتبا تترجم لاعيان عصر بعينه دون اشارة في عناوينها الى اسم العصر او المائة او القرن الذي تترجم لرجاله ، مثل كتاب « تراجم الاعيان من ابناء الزمان » للبوريني من رجال القرن الحادي عشر ، وكتاب « اعيان البيان » لحسن السندوبي من اهل زماننا ، وكتاب « تراجم مشاهير الشرق » للمؤرخ جرجي زيدان ، وكتاب « ريحانة الالبا ، وزهرة الحياة الدنيا » للشهاب الخفاجي الذي ترجم فيه لشعراء وادباء معاصرين له حتى منتصف القرن الحادي عشر ، وكتاب « نفحة الريحانة » للمحبي ، وبعد تكمله للريحانة .

وهكذا اختص العرب بفن في تراجم الرجال وفق القرون وحسب العصور لم نجد له نظيرا في آداب الامم الاخرى ...

محمد عبدالغني حسن

★★



من وراء الليل

سَيكونُ لَيْلاً مُظلماً وطَويلا
إنْ لَمْ تكُنْ في قاعهِ قنْديلا

انْ لَمْ تَكُنْ عطْشَى بِفيضِ جداولا
للغَامِضَاتِ ولِلطَّفاةِ غليلا

النّاهِضُونَ عثَرْتُ وَهْيَ وَبِيلَةٌ
والتّارِكينا عثْمَةً وَذُبولا

مَسَخُوا بنَا التّاريخَ حتّى خِلْتَنَا
- لَوْلا سِماتٌ - لا نَزال مَغولا

قَطَعوا بنَا الأعْراقَ وهْيَ رَوابِطٌ
فَتَقَحّمُونا عالَمًا مخْلولا

في كُلّ آنٍ بُقْعَةٌ مَنْهوبَةٌ
بقُوى تَفِلُّ وَشائِجًا وأصُولا

ومُفَجّرٌ لضغائنٍ مَطْوِيّةٍ
تَرَكَتْ رَوابِطَنَا الضّخَامَ فُلولا

لَيْسَ الذي يَأوي لصَبْرٍ قادِراً
مِثْلَ الذي يَأْوي اليهِ ذليلا . . .



شعر
محمد
الفايز



الفقيدة

عواطف العذبي الصّباح

ولدت الفقيدة في عام ١٩٤٣ ، وحصلت على ليسانس الاداب بتقدير جيد جدا مع مرتبة الشرف الثانية من قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عين شمس في عام ١٩٦٧ . وبعدئذ التحقت بالعمل معيدة في جامعة الكويت ، وبدأت في ذات الوقت التحضير لنيل درجة الماجستير باشراف الدكتور ابراهيم عبدالرحمن محمد .

وفي مساء يوم ٧٠/٤/١٤ شهدت جامعة الكويت مناقشة اول رسالة ماجستير منذ افتتاحها . وهي رسالة الفقيدة عواطف ، وعنوانها « الشعر الكويتي الحديث » . وبعد المناقشة اصدرت لجنة التحكيم القرار التالي :

« قامت لجنة الحكم على رسالة الماجستير المقدمة من الطالبة عواطف خليفة العذبي الصباح بدراسة الرسالة وموضوعها « الشعر الكويتي الحديث » ، وبعد مناقشة علنية في موضوع الرسالة وما يتصل بها ، وبعد تبادل وجهات النظر بين اعضاء اللجنة ، وتقديرا للجهد العلمي الاصيل الذي بذلته في اعداد الرسالة، وتمكنها من الدفاع عن آرائها ونتائج بحثها ، اوصت اللجنة باستحقاق الطالبة درجة الماجستير في الآداب « اللغة العربية وآدابها » من جامعة الكويت » .

بعد ذلك اتجهت الى التحضير لنيل درجة الدكتوراه تحت اشراف الاستاذ الدكتور شوقي ضيف . وكان موضوع رسالتها « الالتزام في الشعر الاموي » . الا ان القدر لم يتح لها فرصة الاستمرار في الاعداد لهذه الرسالة ، اذ اصيبت خلال شهر تموز الماضي بمرض لم يمهلها اكثر من شهرين حيث اسلمت الروح في لندن بتاريخ ٧١/٩/٢٥.

وقد عرفت الفقيدة بين معارفها وزملائها وطلبتها في الجامعة بدماثة الخلق اضافة الى تعشق العلم . وهذا مما ترك في النفوس حزنا كبيرا لفقدها .

اما الاثر العلمي الذي خلفته ، وهو رسالتها للماجستير حول الشعر الكويتي فسوف نعرض له بكلمة موجزة .

تعرضت المؤلفة في التمهيد لتاريخ الكويت بشكل موجز ، مشيرة الى اهم الملامح . ثم انتقلت الى الكلام عن الحياة الثقافية ، وبينت انها كانت تتفق ومزاج البيئة البدوية التي لم تكن لتقبل في هذه الفترة المبكرة ثقافة مدنية واسعة على نحو ما يحدث في الكويت اليوم، وقد كانت دور التعليم في بداية الامر نوعا من الكتاتيب التي يشرف عليها « المطوع » ، وهو شخص محدود الثقافة » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





عواطف اثناء مناقشة رسالتهـا ..

كما اشارت الى ابتلاء الكويت « بطائفة من رجال الدين المتعصبين الذين وفدوا عليها واتصلوا بابنائها » وانتهت الى ان التطورات التي اخذت تجد على الكويت دفعت بابنائها الى ان يبذلوا عناية اكـــبر بالتعليم . وتطرقت من بعد الى انشاء المكتبات والمدارس ، وتنظيم المحـــاضرات العـــامة ، وانشاء النادي الادبي في عـــام ١٣٤٢ هـ .

ثم تحولت الى الحـــديث عن الفنون الادبية من نثر وشـعر بصفة عامة ، لتصل الى حركة احياء الشعر في الكويت ، حيث افردت فصلا للكلام عن « عبدالجليل الطباطبائي » الذي اعتبرته رائد حركة الاحياء الشعري. وقد تتبعت مراحل حياته وثقـــافته وموضوعات شعره وقيمتها الفنية .

ثم افردت فصـــلا للكلام عن حياة « عبدالله الفرج » وثقافتـه وشـعره،النبطي منه وما كتب باللغـة الفصـــحى . وتوصـــلت الى انه « استطاع ان يطور لغة الشـــعر النبطي تطويرا يقربها من الفصحى ، وينفي عنها هذه العامية التي تجعل الاساليب والمعاني في احيان كـثيرة مستغلقة استغلاقا شديدا » .

ويأتي بعدئذ الباب الاول من الرسالة ، وهو عن « موضوعـات الشـعر الكويتي » وقـد قسمته الى ثلاثة فصول هي :

١ ــ الشـعر ومشكلة المياه

٢ ــ الشـعر والدعوة للتعليم

٣ ــ الشـعر السياسي

وذكرت في الفصل الاول ان ما وصلنا من شعر حول موضوع المياه لا يجاوز ابياتا قليلة لكل من «عبدالله الفرج» و «صقر الشبيب» ومقطوعة طويلة للشاعر «خالد الفرج» ، تعنى اكثر ما تعنى بتصوير المأســـاة الانسانية . وفيما عدا ذلك لا نكـاد نعثر على صدى لهذه المشـــكلة في الشعر الكويتي ، اللهم الا فيما يتصل بأثرها النفسي في اختبار التشبيهات والاستعارات ، بحيث يمكن القول ان هذا الشعر يشكل ما يصلح ان يسمى «ظاهرة ادبية» . وقد وصفتهـــا بظاهرة «التشبيهات المائية» .

وفي الفصل الثاني تكلمت عن «الشعر والدعوة للتعليم» وميـزت بين ثلاثة تيارات هي :

١ ــ تيار الدعوة الى تأسيس دور العلم .

٢ ــ تيار الدعوة الى تعليـم المرأة .

٣ ــ الصراع العنيف الـذي ثار بين طوائف الشعب حول ماهية العلوم التي ينبغي تدريسها .

اما الفصل الثالث فيتنـــاول الشعر السياسي . وقد نبهت الى ملاحظات ثلاث :

١ ــ ان هذا الشعر السياسي لم يعن عناية واضحة باحداث الكويت

٢ ــ انه يكاد يدور حول مشكلة واحدة ، هي مشكلة فلسطين ومـــا تلاها من احداث تتصل بها .

٣ ــ ان الشعراء الكويتيـين قد سبقوا كثيرا من شعراء الامـــة العربية في الحديث عن مشـــكلة فلسطين .

ويتناول الباب الثاني الشـــاعر « خالد الفرج » وديوانه ،واتجاهات شعره الفنية ، باعتباره احد اعـــلام الشعر في الكويت ، وقد وصفتـــه بداعية الوحدة العربية .

وترى المؤلفة انه اذاب ذاتـــه في الاحداث السياسية وشغل نفسه بشعر المناسبات مما سجن عواطفه الذاتية . ثم ان ما وصلنا من شعره ينتثر الى التصوير الشعري الذي هو صفة تميز الشعر الجيد .

اما الباب الثالث والاخير فقـد عرضت فيه حياة الشاعر «صقـر الشبيب» ، وموضوعات شـــعره وقيمتها الفنية ، وكانت اهم نتيجـة توصلت اليها من خلال دراسة مـا عثرت عليـــه من شعره ــ قبـل صدور ديوانه ــ انه عني عناية كبيرة بالحديث عن نفسه في قصـــائد راح فيها يشكو من الناس والدنيا والفقر، ويدافع عن عقيدته ضد اتهامـــات المتعصبين من رجال الدين . ولكنـه على الرغم من هذه الذاتية التي حاول ان يضفيها على اشـــعاره تلك لم يستطع ان يتخلص من رواسب ثقافته التقليدية القديمة ، لغـــة ومعنى واسلوبا وصورا شعرية .

خليفـة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في رحمة الله أيها

البدوي الملثم

بقلم / خالد سعود الزيد


ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

يعقوب العودات أو «البدوي الملثم» اسم سيبقى محفورا في صدورنا ، محفوظا في سجل مآثرنا ، مروّياً على شفاهنا ما بقيت لحظة من هذا الدهر .

فلقد سطر من الكتب والمؤلفات ما يربو على العشرين مطبوعا ، عبّر رحلة مع الحرف مباركة بدأت سنة ١٩٢٦ م عندما أخذ ينظم ويكتب وانقضت حيث كانت وفاته في هذا العام قبل شهر من كتابة هذا المقال .

والبدوي الملثم لقب اختاره توقيعا لنفثات قلمه فلقد حملت مقالاته الأولى تواقيع مختلفة منها «حمار البدوي» و «نواف» و «فتي مؤاب» و «حمار» و «أبو بارودة» و «أبو نظارات» ولكنه لم يأنس بواحد من هذه التواقيع ، وذات يوم بينما كان يسير بمفرده على طريق السيل في مدينة الكرك الاردنية إذا به يرى بدويا ملثما على ذلول يلوح بمحجنه ويهزه في وجهه اشارة السلام . . فارتاح لهذا المنظر الآخاذ

وعقد العزم على أن يكون «البدوى الملثم» توقيعه المستعار على مؤلفاته ومقالاتـه .

بدأ حياتـه كما يبدأها العصاميون النجباء فانتهت به إلى حيثما يجب أن تنتهى بـه حياة العصاميين النجباء .

كانت حياته الأولى حياة شظف وعيشة قاسية . نضحت فيهـا روحه اسى ، وتنزت ألماً من قلة خبز ومعرفة ، فتقلب بـين أنياب الفقر بعـد موت والـده حيث أوسعه عمـاه كما أوسعا امـه وشقيقته ظلمـا وعسفا .

كان والده ثريا ، خفيض العيش ، ذا نعمة هانئة وسمعة طيبة . بـدأ حياته فلاحا بسيطـا حتى انتهى به الأمر إلى أن يختاره متصرف لواء الكرك التركى عـام ١٩١١ م رئيسا لبلدية الكرك . فكان أول رئيس لبلديتها . وقد مات محمود السيرة مذكورا بالخير مجبولا عليـه .

لقد مات والده وامنيتـه أن يرى ابنه طبيبـا فأوصى شقيقيه بـأن ينفقا مهمـه من الثروة على تعلم ابنه الطب .

فكفر الشقيقان بالوصية وراحا ينفقان الثروة في الشهوات والملذات ويعاملان الطفـل ووالدتـه وشقيقته معاملة خلت من الشفقة والرحمة والحنان .

فخرج إلى الحياة يصارعها ويتقوى على صعابها بالعزم رغم قسوة الدهر .

هجر المدرسة بعد انهاء المرحلة الابتدائية ليوفـر لوالدته وشقيقتـه لقمـة العيش . وافتتح حانوتا صغيرا أعانه عليه رجـل كان صديقا لوالـده .

يعد الشاى والفلافل لعمال المقالع الذين يغتدون والطير في وكناتها ، ثم لايعود الى أهلـه إلا بعـد أن يهجع الناس في مخادعهم مستسلما للنوم بعد رهـق النهار .

وما زال العزم يطل عليـه من مشكاة قلبـه المفعم بالايمان بالله والامال الجسام حتى استطاع أن ينهى دراسة المرحلة الاعدادية وهو في حانوته الصغير ، ويؤمن نفقات العيش فيبيعه غير نادم ليواصل دراسة المرحلة الثانوية . ولينضم بعدهـا إلى جهاز التعليم في الاردن فشاع خبر جهاده واجتهاده وانتشر صيت مقالاته ومؤلفاته فاختاره رئيس وزراء الاردن الاستاذ ابراهيم هاشم سكرتيرا خاصـا بـه فسكرتيرا معـارا للمجلس التشريعى الأردني .

واستقال من العمل الحكومى عام ١٩٤٤ بعـد زواجـه ليواصل دراسته الجامعية غير أنـه لظروف بسط شرحها في رسائله لولـده «خالـد» لم يتمكن من الالتحاق بكلية الحقوق في الجامعـة السورية ، فعاد إلى القدس وعيّن مترجما في مكتب الترجمة التابع لحكومة فلسطين . فاستقر في بيت المقدس وقـد كان لهذا الاستقرار أثـر طيب في توطيد صلته بزعماء فلسطين وادبائها وانعكـست هذه العلاقة على براعته فترجم لكثير من شعرائها وكتابها ولـه موسوعة فلسطينية بعنوان : «اعلام الفكر والأدب في فلسطين» بـدأ في نشرها فصولا عام ١٩٦١ بمجلـة (الاديب) البيروتية ليقدمها كمـا قـال «تحية لشعب أنوف مناضل ضرب أروع الأمثلة في دنيا التضحيات والفـداء» . وقد ظهرت له من قبلها كتب ودراسات مستقلة عن أدباء وشعراء فلسطينيين عاصر بعضهم وتتلمذ على بعض الخر منهم .

وكتابه (رسائل إلى ولدى «خالد») ينضح بحبـه لفلسطين وتعلقه بهـا وبأبنائها .

فلقد كان رحمه الله عربيا محتدا ولسانا ، بدويا صراحة وبيانا ، فبعـد حلول الكارثة الفلسطينية الأولى عـام ١٩٤٨ لجـأ إلى الأردن وعمل في وزارة الماليـة ثم استقال قاصدا اميركا الجنوبية لدراسة قصـة الهجرة العربية إليها فشارك في نضال العرب ضد الصهاينة هناك ودافع عن الحق العربي المغتصب وساهم في القـاء الأحاديث عن القومية العربية وعن قائـد هذه الأمة رسول الله إلى العالمين محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعـد اقامـة عامين ونصف عـام عاد إلى الاردن وصنف موسوعته المهجرية الكبرى (الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية) وأخرجها في مجلدين جاءا في (٨٨٠) صفحة من القطع الكبير وكان قبلها قد ترجم في عـام ١٩٤٦ عن الانكليزية كتاب (الناطقون بالضاد في أمريكا الشمالية) .

كان البدوى الملثم شعلة ذكاء وقمة نشاط وذروة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أخلاق مسيحا يجوب هذا العالم ليروى قصة الأدب العربي وليبارك خطوات العرب نحو المجد منذ أن نفخ فيهم محمد - كما قد عبر في احدى رسائله - « من روح الله فطمحوا إلى ملك كسرى وهم جياع وسموا الى عرش قيصر وهم عراة وحكموا العالم وهم سذج ، وظهروا للعيان أمة واحدة تهدف هدفا واحدا ، وتعبد ربا واحدا ، مدت جناح ملكها من نهر تاج باسبانيا إلى نهر الكانج في الهند ورفعت أعلام الحضارة في سائر أنحاء المسكونة أيام كانت أوربا سادرة في جهالتها » .

ولعل من أبرز المواقف التي أثرت في مجرى حياته النكبتين المروعتين اللتين أصابتا العرب في صميم شرفهم نكبة عام ١٩٤٨ ونكبة عام ١٩٦٧ ولقد كان يرى أن أسبابهما أزمة أخلاق وتدهور مثل وانحراف عن الخط القومى السليم الذى ما كان غير اخلاقٍ فُضْلَى وأفعالٍ مثلى .

فبدوينا ذو خلق ودين يتجلى ذلك في رسالته رقم ١٦ التي وجهها الى ابنه خالد قال فيها : « كثير من مدارس هذا العصر تتنكر للدين ، ولا تدعو الى الاعتصام بحبل الله ، زعما من القائمين على شؤونها وتصريف أمورها ان الدين شيء رث قديم لا ينسجم ومدنية العصر الحاضر . وكل ما ارجوه يا بني ان تؤمن من قرارة نفسك بوجود إله واحد خلق السموات والأرض ، وأقام هذا الكون العجيب نظاما دقيقا كعقارب الساعة ، وأملي يا « خالد » أن تصلي لله قبل أن تكون بمخدعك ، وعندما تستيقظ ، وتسأله الرحمة بعباده » .

ولقد كان بودى أن يمتد بي طريق القلم لكشف كثير من خفايا هذا الرجل الكريم ومزاياه الطيبة النبيلة ، بيد أني أكتفي في خاتمة مطافي هذا بسرد بعض مؤلفاته المطبوعة لتكون مرشدا اليه ومعوانا لفهم ما ضمته جوانحه السمحة من علم وطيبة : -

١ - اسلام نابليون طبع سنة ١٩٣٧
٢ - القافلة المنسية طبع سنة ١٩٤٠
٣ - الناطقون بالضاد في اميركا الشمالية
(مترجم عن الانكليزية) طبع سنة ١٩٤٦
٤ - اصراع أم تعاون في فلسطين
(مترجم عن الانكليزية) طبع سنة ١٩٤٧
٥ - شاعر الطيارة فوزى المعلوف طبع سنة ١٩٤٨
٦ - ديك الجن الحمصي طبع سنة ١٩٤٨
٧ - الناطقون بالضاد في أميركا الجنوبية
(جزءان مطولان) طبع سنة ١٩٥٦



يعقوب العودات .. البدوى الملثم .. الأديب المؤرخ البحاثة .. والانسان الصديق الوفي .. لقى وجه ربه !

.. نبأ مؤلم ، تلقيناه واجمين ، في أواخر شهر أيلول الماضى ، بينما كان عدد تشرين الأول من المجلة فوق آلات الطبع .. !

والبدوى الملثم ، رحمه الله ، صديق وفيّ صدوق لرابطة الأدباء في الكويت ولمجلتها .. محض « البيان » غالي ثقته وعميم محبته ، فخصّها على مدى سنوات بنشر بعض ما دبّجه يراعه في تأريخ حياة وأعمال العديد من رجالات الفكر والأدب والتربية والاجتماع .... فجاءت أبحاثه عقدا مسلسل الحلقات ، قيّم الجواهر .... نشرنا منها الكثير ، وسننشر بأذن الله ما تبقى لدينا منها في أعدادنا القادمة ، وفاء لذكراه الكريمة ، واقرارا بفضله وأدبه ، سائلين المولى العلي القدير أن يغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنانه .

« البيان »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨ – الغواني في شعر ابراهيم طوقان طبع سنة ١٩٥٧
٩ – عرس ومأتم (في سلسلة اقرأ) طبع سنة ١٩٥٩
١٠ – عرار : شاعر الأردن طبع سنة ١٩٥٨
١١ – الوطن في شعر ابراهيم طوقان طبع سنة ١٩٦٠
١٢ – البستاني واليادة هوميروس طبع سنة ١٩٦٣
١٣ – ابراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته طبع سنة ١٩٦٤
١٤ – شكري شعشاعة : الانسان الاديب طبع سنة ١٩٦٤
١٥ – الوان على طبق (مجموعة من القصص القصيرة) طبع سنة ١٩٦٥
١٦ – فتح الله الصقال «الرائد الانساني الكبير» طبع سنة ١٩٦٧
١٧ – عيسى اسكندر المعلوف المؤرخ الموسوعي الأديب طبع سنة ١٩٦٩
١٨ – عبد العزيز الرشيد (مؤرخ الكويت الأول) طبع سنة ١٩٧٠
١٩ – رسائل الى ولدي «خالد» في سلسلة اقرأ طبع سنة ١٩٧٠

ورسائله هذه حصيلة تجارب تجربة مرت برجل عركته الحياة عرك الرحى بثقالها . فوجه الى خالد وفي جيل خالد هذه النصائح البارة في كلمات حانية وعبارات تفيض بشرا كوجهه السمح الطلق وترسم طريقا كجبينه الابيض المشرق بالنور ، وتعبّد سبلا كشريعته في الحياة تفانيا من اجل الاخلاق والانسان .

رحم الله البدوى الملثم وتغمده بواسع فضله والهم ذويه ومعارفه وتلامذته الصبر والسلوان وانا لله وانا اليه راجعون.

خالد سعود الزيد

المراجع :

١ – مؤلفاته
٢ – مقابلة أجراها معه الأخ الصديق طارق عبدالله منشورة في مجلة البيان التي تصدرها هذه الرابطة «العدد ٤٢ – أيلول ١٩٦٩» .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حلقات الدخان

قصة بقلم

سعد حامد



غادر بيته في المساء ، ولم يكن قد فكر اين يذهب ، ومشى في الطريق الذي يمشي فيه كل يوم بحكم العادة ، وهو لا يفكر في شيء انما تسوقه قدماه .. كان الوقت خريفا . فالاشجار عارية من اوراقها ، والسماء ملبدة بالسحب ، لكن شيئا لم يستوقف بصره . وعندما وصل الى محطة الاتوبيس ورأى السيارة الذاهبة الى الجيزة واقفة في مكانها فكر ان يركبها الى اخر الخط ثم يعود بها ، وهي فرصة لقضاء بعض الوقت ومشاهدة الطرقات والنيل والعوامات المضيئة على شاطئيه ..

والقى بجسده في الاتوبيس ، وعندما تحركت به السيارة قال لنفسه في مرارة :

— ان الحياة بقسوتها واستخفافها بعواطف الانسان لا تتوقف عن المسير وان الايام لا تني تمر غير عابئة بمشاعر الناس سواء رضوا ام كرهوا .. ونحن مضطرون لان ناكل ونشرب وننام ثم نستيقظ ونعاود الكرة مرة اخرى برغم اننا فقدنا اهتمامنا بكل متعة في الحياة وبقيت عادة العيش الآلية ..

انطلقت به السيارة وهو جالس الى جانب النافذة ، ومضت تشق الطرقات المزدحمة بالسيارات والناس يمشون على الافاريز وهو شارد يفكر .. الحياة لم تعد تطاق هكذا .. ليس هناك شيء يستحوذ على اهتمامه او يحرك عواطفه . لو كان يجد شيئا يخرجه من هذا الجمود ويجعل لحياته معنى ؟ وعاد يقول لنفسه في يأس :

— هل شاخ قلبي وبردت عواطفي ونضبت حيويتي؟ لا ادري . ليس هناك شيء يجعل لحياتي قيمة او معنى ويجعلني اتعلق به ..

والقى ببصره الى الطريق ..

كان « كامل » في الاربعين من العمر ، تخرج في الجامعة ، وكان مرهف الحس يبدو هادئا كثير الصمت ، ولم يقطع صلته بالكتب منذ توظف بل كانت القراءة هوايته المحببة ، وقد تزوج منذ خمسة عشر عاما وانجب ثلاثة اولاد ..

وعندما وصلت السيارة آخر الخط لم يغادرها وظل جالسا في مكانه حتى تحركت عائدة به ، وعند شارع ٢٦ يوليو غادرها نجاة ، ووقف على الطوار حائرا اين يذهب ثم مشى مع سيل المارة المتدفق ..

وتذكر وهو ماض صديقه حسين .. انه لم يره منذ ايام ، وكان حسين من اعز اصدقائه ، ولم تنقطع علاقتهما منذ تخرجا في الجامعة بل توثقت اواصر صداقتهما ، وكان حسين يشاركه في كثير من افكاره ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهو مرهف الحس مثله ايضا وان كان عصبي النزعة وعلى عكسه فهو قلق ويميل الى النقاش ولم يتزوج بعد .

واتجه صوب المشرب الذي يؤثره صديقه والذي يلتقيان فيه دائما ، ورآه جالسا الى منضدة مطلة على الطريق ، وتصافحا في حرارة ، وجلسا يتحدثان ،وانطلق كامل يتحدث في انفعال اما حسين فقد بدا صامتا يستمع الى صديقه في شيء من الدهشة .

ثم قال له بعد فترة صمت وهو يضحك :

— صدقني يا كامل انا في عجب من امرك . لقد لاحظت عليك تغيرا شديدا منذ شهور . كنت قليل الكلام تؤثر الصمت دائما . اما اليوم فانت انسان اخر .. صدقني انا سعيد بهذا التغير . انك تنفس بالحديث عن مشاعرك المكبوتة .

فقال كامل في هدوء :

— هذا الذي تقوله حق وصدق .. انا نفسي في اشد العجب منه ، فلم اكن اتصور انني سأتغير هكذا . لقد احسست فجأة ان حياتي باردة لا معنى لها وان وجودي لا قيمة له . احسست انني ممثل مغمور اؤدي دورا صغيرا .. مجرد « كومبارس » يمر على المسرح لا ينتبه اليه انسان . وفي الشهور الماضية عشت اياما في صراع مرير خرجت منه بانني يجب ان اكف عن هذه الحياة التي احياها كممثل صغير وان ابدا على نحو ما بان اغير حياتي ...

وقال حسين وهو يرمق صديقه باسما :

— اذن فقد كنت تخفي عني اشياء كثيرة ..

فقال كامل بحزن :

— كل ما هنالك انها كانت ازمة نفسية يتعرض لها كثير من الناس ..

— ولكنني اعلم ان حياتك هادئة وسعيدة ، وانك تحب زوجتك واولادك ، فهل جد جديد في حياتك . هل وقعت في الحب ؟

وضحك كامل ساخرا وقال :

— الحب ... هو اول شيء يخطر ببال الرجال . حقا لقد تزوجت بلا حب .. اعني زواج عقل ، ولم البث ان احببت زوجتي بعد الزواج لكنني ايضا كثيرا ما افكر في الحب واحلم به كشيء بعيد المنال .. ولكن لماذا استطرد ؟ كل ما هنالك انني لم اعد احتمل ..

— لم تعد تحتمل .. لم تعد تحتمل ماذا ؟

وسادت فترة صمت قصيرة ، وقال كامل وهو يتناول سيجارة من علبة لفائفه ويشعلها :

— لم اعد احتمل حياتي .. وزوجتي ..

فنظر اليه صديقه في عجب وقال :

— حياتك وزوجتك . امر عجيب . لقد طالما حدثتني عن علاقتك الطيبة بزوجتك وعن حياتكما الهادئة فماذا حدث ؟ هل تغيرت زوجتك ؟.

— لا لم تتغير .. انا الذي تغيرت . احسست بحاجة ملحة الى شيء مهم يحرك ركود حياتي .. شيء اهم من الخبز . ان العلاقة بيني وبين زوجتي اصبحت بمرور الزمن مجرد علاقة روتينية . وادركت فجأة انني اعيش مع امرأة يربط بيني وبينها مجرد عقد .. امرأة تعيش في الشمال وانا اعيش في الجنوب . هل تفهم ما اعني !

تطلع اليه حسين وقد هالته نبرة الشقاء في صوته فقال له في تأثر :

— ولكن ما ذنبها هي يا صديقي . اظن ان الحب ليس هو الشيء المهم في الحياة الزوجية . انني وان كنت غير متزوج الا ان خبرتي بالحياة جعلتني افهم ان الامر المهم في الحياة الزوجية هو التفاهم بين الزوجين .. التفاهم وليس الحب .. وبقليل من الصبر يصبح التفاهم امرا دائما مستمرا بين الزوجين .. ولاذ حسين بالصمت ، وقال كامل في انفعال :

— لقد احسست فجأة بان الحياة من غير حب امر لا يطاق ولا يحتمل ... ان كل لحظة من حياتنا لها قيمتها ..

— ولكن يا صديقي يجب ان نجابه مشاكلنا بانسانية . لو كنت في مكانك لما جعلتها تشعر بان حبي لها قد اصابه الفتور .. ولعشت معها حتى يقضي الله امرا .. اقصد حتى الموت ..

وضحك كامل في مرارة ..

— طبعا لا بد ان يكون هذا رايك . انت اعزب .. حياتك كلها احلام جميلة .. يخطف بصرك البريق ، ولم تعان عذاب الاحساس بالوحدة والى جانبك امرأة لا تحبها ..

— هذا هو رأيي . يجب ، ما دام الزوجان قد ارتبطا معا برباط الزوجية المقدس ، ان يعيشا معا حتى الموت ...

— هذا كان مذهبي من قبل عندما كنت مسلوب الارادة لا افعل اكثر مما اجتر احزاني في صمت . انني لم اعد قانعا بحياتي ، وقد ادركت ان هناك حواجز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تسد على الطريق لكنني قررت ان احطمها، وان اخرج عن القضبان .. نعم سأخرج عن القضبان ...!

— ولكن هناك قيما يجب ان نحترمها .. لا يفرضها علينا انسان . وانما نفرضها نحن على انفسنا .. قيما يمليها علينا الخلق الطيب والانسانية التي ننتمي اليها، وانا اعرفك انسانا على خلق . هل نسيت عشرتك الطويلة لزوجتك الطيبة وحنانها وعطفها ؟ هل نسيت اولادك وحبك لهم ؟ انني اذكر اغنية قرأتها في مذكرات شارلي شابلن وقد اعجبتني كثيرا .. اسمع يا كامل .. هذه هي الاغنية :

« من اجل العشرة القديمة لا ندع مجالا للعداوة بيننا ..
من اجل العشرة القديمة قل انك نسيت وصفحت ..
ان الحياة اقصر من ان نقضيها في منازعات ..
والقلوب اثمن من ان نحطمها ..
فلنتصافح ولنكن اصدقاء .. من اجل العشرة القديمة .»

وقال كامل :

— كلام جميل ومؤثر وعاطفي ..

وسكت لحظة واردف في صوت ممتلئ :

— من اجل العشرة القديمة قل انك نسيت وصفحت ..

يا لها من كلمات تمس شغاف القلب ... ولكن ... يا عزيزي ان الحياة اقصر من ان نضيعها سدى يجب ان نستمتع بكل لحظة فيها . انا لا اقصد ان اسيء الى انسان .. كل ما عنالك انني ادركت ان حياتي مع زوجتي اصبحت مستحيلة .. قل لي لماذا لا نفترق بالمعروف فاعيش انا حياتي وتعيش هي حياتها ؟ انني كنت من قبل اعيش حياة جامدة فاترة لا اكاد احس بما حولي ثم شهدت حادثا صغيرا حرك اعماقي الراكدة وجعلني اغير نظرتي الى الحياة ..

رأيت فتاة من جيراننا القت بنفسها من الطابق الثاني لان اهلها ارادوا ارغامها على الزواج من شاب لا تحبه . ولحسن الحظ لم تمت ، وقد سمعت صوت ارتطامها بالارض . وهزني هذا الصوت هزا ، وفسخ اهلها خطبتها ولم يزوجوها من ذلك الشاب ، وحققت الفتاة رغبتها .

لقد ايقظني صوت ارتطامها بالارض من سباتي العميق . ففتحت عيني . وتخلصت من جمودي . وقررت ان اعيش .. قررت الا اخضع لعذابي وان اتمرد عليه ..

فقال له صديقه باسما :

— هذه موجة غضب لم تتعد السطح .. انني اعرفك اكثر من نفسك ، واعرف اعماقك البعيدة الصافية ، واؤكد لك ان هذه الموجة لن تلبث ان تنحسر وتعود حياتك الى هدوئها الطبيعي ..

فهز كامل راسه وقال :

— ليست المسالة كما تظن . انها اعمق من هذا كثيرا . لقد ادركت انه لن يكون لحياتي قيمة بلا حب .. سأنشى عنه في عيني كل امراة اراها . فقد فقدته عند زوجتي ، وعندما اعثر عليه في عيني امراة فلن اقف مكتوف اليدين .

سأحطم السلسلة التي تشدني الى عذابي ..

وكف كامل عن الحديث . وقال لصديقه في ضيق :

— هيا بنا نتمشى قليلا ..

وغادرا المشرب . وسارا معا بعض الوقت ثم افترقا . ومضى كامل متمهلا . كانت الطرقات مكتظة بالاسواء ومزدحمة بالمارة ، وكانت افواج الرجال والنساء تتسكع امام واجهات الحوانيت ، ويبدو انهم يتجولون بلا هدف ويتحركون بلا غاية . وازدحمت المقاهي والمطاعم برواديها الذين جلسوا يتناولون الطعام او يشربون القهوة او يحملقون في جموع المارين . وكان كل هؤلاء الناس يبحثون عن وسيلة لقضاء ساعات الليل ..

وجرفته امواج البشر . فمضى على غير هدى .. ونظر الى ساعته .. ما زال الليل طويلا ، وهو لا يريد ان يعود الى البيت ، فهناك ينتظره الارق والاحزان .. الصباح يقضيه في العمل وفترة القيلولة راقدا ، ومع كل مساء تتجدد مشكلة قضاء الوقت ، وكان من الممكن ان ينحدر فيدمن المخدرات او الخمر محاولا التخلص من ملل حياته ولكن قوة ارادته عصمته من الانحدار الى هاوية الادمان والسقوط ، ولكنه الليلة يحس بعذابه يتفاقم بعد حديثه مع صديقه .. هذا الحديث الذي اثار احزانه الدفينة ..

وعزم ان يجول في الطرقات حتى اذا شعر بالتعب عاد الى البيت ليستغرق في النوم . ومضى وسط الزحام ..

ووقع بصره على سيدة متقدمة في العمر . فتحس بقلبه تتسارع نبضاته .. هذه هي الممثلة المعروفة نعمت وجدي .. عرفها في مستهل الشباب . وكانت ممثلة مشهورة تربعت على عرش المسرح . ولما تقدمت بها



السن اعتزلت التمثيل فنسيها الناس ، ولم تعد الصحف تذكرهـــا ..

واحس بموجة من التأثر والالم .. المرأة .. التي كانت نموذجا للجمال والفتنـــة اكتهلت واندثر جمالها .. كانت ترتدي ثوبـــا انيقـــا ، وقد طلت وجهها بالمساحيق لتخفي التجاعيـــد التي رسمها عليه الزمن .

وتلاحقت ذكريـــاته ..

كان طالبا في المدرسة الثانوية ، وكان ابن شقيقتها زميله في الفصـــل ، وذات يوم وهو يزوره في البيـــت التقى بها هناك ، وتعارفا ، وتكرر اللقاء ، وتبـــادلا الحـــب ..

كانت تكبره باعوام عدة ، وكانت قوية الشخصية، جذابة ، مثقفـــة ، وكان شـــابا عاطفيا تزدحم رأســـه بالاحلام ، فسحرته بجمالها ، وفتحت له بيديها نافـــذة الحب فاطل منها على دنيا جديدة غريبة عليـــه .. واستمرت علاقتهما سنوات ثم فترت ، وانقطـــع عن رؤيتها عندما فكر في الزواج .. شبابه البعيد تراءى امام عينيه .. كان القلب متفتحا ، والغم باسمها ، والحياة جميلة .. كيف محت الايام والسنون تلك الذكريـــات العزيزة ؟ كيف استطاع الزمن ان يجعل الشارة المنتهيـــة رمـــادا خابيا ؟

وتقـــدم منها كالحالم وهتف :

— نعمت هـــانم ..

تحولت اليه في بطء ، وتطلعت اليه بعينين ذابلتين ، الوجه شـــاحب مغضن ولكن به بقـــايا من الجمال القديم .

هزه حزن عميق .. ما اقسى الحياة ، وما اقواها ، وما اتفهها .. هل هذا هو الوجه الفاتن الذي طالمـــا شغفه حبـــا فيما مضى ؟ وتناول يدهـــا في حنـــان فالتمعت عيناهـــا بومضة وهتفت :

— كامل .. لست اصـــدق ..

واجابها في صوت حزين :

— بمـــر الحي بتـــلاقي ..

قالت وهي تتامل وجهه كالحالمة :

— زمن طويل ..

اجـــاب كالشـــارد ..

— عشرون عـــاما ..

كانا يتطلعـــان الى بعضهما في فضول ، ودفعهما سيل المـــارة المتدفق فانتحيـــا جانبا ، واحس بالحنان يطـــارد الشفقة في صدره وقال لها في رقة :

— نفضلي لنشرب قدحين من القهوة في احد المشارب القريبة ونقضي معا بعض الوقت ..

فتالقت وقد اشرق وجهها بابتسامة ، وكان هـــذا اللقـــاء قد عاد بها سنوات الى الماضي :

— ولماذا لا نذهب الى شقتي ، هي قريبة من هنا كما تعلم ولم ترالك نسيت مكانها ، وهنـــاك نستطيع ان نتحدث في هدوء بعيـــدا عن هذا الضجيج والزحـــام وســـأقدم لك قهوة ممتـــازة ..

وتمتمت ..

وعندما حركت المفتاح في باب الشـــقة وفتحته فتح عليه باب الماضي .. وسمع صوت قطة تموء، ومدت يدهـــا فاشعلت مفتـــاح الكهرباء فاضاء النور ، وراى قطـــة غزيرة الشـــعر اقبلت تتمسح بقدمي صاحبتهـــا .

وقف برهق المكان بنظراته الحيرى .. كل شيء تغير .. الاثـــاث الذي كان فخما انيقا اصبح طرازا قديما وبدا متداعيا ، والسجاد الثمين تاكل ورث ، وعلى الجدران كانت الاطارات الضخمة المذهبة تحمل صورهـــا وهي في رونق الشـــباب ، وعلى النوافذ المغلقة اسدلت ستف باهتة قديمة ، والنجفة الكبيرة التي تتوســـط الصالة بها لمبتـــان فقط وعليها تراب ، وجو الشـــقة راكد ثقيل كجو المتـــاحف ، وبدا له كل شيء جامدا باردا عتيقا كان الزمن قد ترك عليـــه آثاره ، حتى القطة كانت عجوزا وكانت تتحرك في تثـــاقل وبطء ..

ووضعت حقيبتها جانبا وجلست قبالته ، واقبلت القطة فرقدت عند قدميها .. قالت وهي تمسح عـــلى ظهرهـــا بيدهـــا :

— هذه هي صديقتي الوحيدة وشريكة حياتي ، هي

الكائن الوحيد الحي الذي يتحرك معي في الشقة ، وفي الليل تحتل مكانها بجانبي على الفراش فاحس بتردد انفاسها في سكون الليل . لا يزورني احد سوى الخادم التي تحضر مرة في الاسبوع لتغسل الثياب وتنظف الشقة وسوى البواب الذي يحمل لي الطعام والصحف .

كانت تتكلم في هدوء وقد بدت على وجهها مسحة من الاطمئنان ، واجتاحته الدهشة وتساءل من اين لها هذه الطمانينة وسط هذه الوحشة وركام الذكريات والمجد الآفل والوحدة ، وقال لنفسه اهي القناعة والرضا بالواقع ام هذا من اثر السن والاستسلام الى يأس لا مفر منه ؟

تطلع اليها في فضول ، فلم تهرب من نظراته المتسائلة بل اردفت وعيناها تبتسمان :

— وانت .. كيف حالك ؟

وغمغم في اقتضاب :

— الحمد لله ...

وابتسمت وقالت :

— زوجة ونصف دستة من الاولاد .. اليس كذلك ؟

وابتسم في مرارة :

— لا ... ثلاثة اولاد فقط ..

— حياة سعيدة مستقرة .. زوجة واولاد ، ومشاغل العمل ومطالب البيت والاولاد التي لا تنتهي .

واحس كأن يدا تفكا جرحه فاطرق ..

سألته فجاة :

— هل انت سعيد في حياتك الزوجية ؟

ولم يقو على النطق ، وضحكت ولم تعلق بكلمة ، وبلع ريقه بصعوبة وقال في حزن :

— لا اكاد اصدق ان هناك انسانا سعيدا في هذه الحياة ..

قالت وهي تفحصه بنظراتها :

— ماذا تقول ؟! الانسان دائما لا يحس بالنعيم الذي يعيش فيه ولا يعرف قيمة ما تملك يداه . انني احسدك . لقد مثلت اعظم الروايات ولعبت ادوار نساء عظيمات وغانيات مشهورات واسعدت الناس وانسيتهم همومهم واستدررت دموعهم احيانا ، ولو كنت ضحيت بالفن وتزوجت لكنت الان اعيش مع زوج يرعاني واولاد يملأون حياتي بالدفء والحب ، واذن لكرست حياتي لاسعادهم ، ولكان لي غاية اعيش من اجلها .

ولكن ماذا كسبت من الفن سوى هذه النهاية .. وحدة ونسيان ولولا المعاش الذي تصرفه لي وزارة الثقافة كل شهر لتضورت جوعا ..

وتنهدت .. وقدم لها علبة سجائره فتناولت سيجارة واخذا يدخنان معا ، وتركته لتعد القهوة ، فاسترخى على المقعد واغمض عينيه وهو يقول لنفسه : الشباب مضى وولى ، والنفس مثقلة مجروحة ، وليس هناك امل .. كل شيء الان ذل وعلاه الصدأ ..

وانحدرت من عينيه بالرغم عنه قطرتان من الدمع ، واقبلت تحمل صينية القهوة فلما لمحت الدمع يلمع في عينيه قالت متعجبة :

— اتبكي ؟

وداري خجله بابتسامة باهتة وقال في مرارة :

— تذكرت ايام الشباب التي ذهبت الى غير عودة حين كنت لا احمل هما او اعاني قلقا ولم اكن اعرف حينذاك هذه العواصف النفسية التي تجتاحني الان ...

قالت وعلى قسمات وجهها الهدوء والاطمئنان نفسه :

— ولكنك رجل والرجال لا يبكون بل يتحملون ..

وشعر بالخجل من هدوئها واتزانها ، وقال كمن يدافع عن نفسه :

— ولماذا لا يبكون ؟ هل البكاء ضعف ؟ ابدا .. انا اعرف رجالا اقوياء يتحملون كثيرا ولكنهم ارق قلبا واكبر عاطفة واقرب دموعا من ارق النساء ..

وتناول من يدها فنجان القهوة ، واحسا بانهما منقطعان تماما عن الحياة التي تجري في الخارج ، والذكريات تحوم حولهما مع حلقات الدخان المتصاعدة ..

وقالت له وهي ترشف القهوة :

— من الشجاعة الرضا بالواقع ، لقد مضى كل شيء ، الشباب والشهرة والمجد والعواطف الحارة والرغبة المتدفقة في الحياة ، ولكني برغم كل هذا اجابه الحياة كل صباح بابتسامة ..

وسمعا صوت قطرات المطر تطرق النوافذ ، فقال لها في اسى :

— السماء تمطر ..

واشعلت سيجارة من عقب سيجارتها ونفخت الدخان ثم قالت :

— اختي توفيت منذ سنوات وابنها رحل الى اقصى الصعيد واستقر هناك في مقر عمله مع زوجته واولاده

منذ اكثر من عشرة اعوام ولم اعد اراه .. صدقني ان الزواج نعمة كبرى .. انه يمنحنا كل شيء .. يمنحنا الامان والانس والمشـــاركة والمودة والرحمة ، واحيانا اضيق بوحـــدتي فاخرج الى الطريق وامضي بين الناس فاحس بوحـــدتي تتبختر بين جموع الناس ...

حدق فيها مأخوذا .. هالتـــه شخصيتها وقوة صمودها امام قسوة الحياة وجبروت الايام ، وشـــعر بالخجل وهو يقـــارن بين قوتها وضعفه ، واراد ان يقول لها شيئا يبعـــث البهجة الى نفسها فقال :

— ان كل الناس يذكرون ادوارك العظيمة وقدسمعت ان الاذاعـــة تعد الان تاريخ حياتك في حلقات ،وسيقدم في التليفزيـــون ايضـــا ..

وضحكت في سخريـــة ..

— هل يجدي المزاء عندما يفقد الانسان كل شيء . لا ادري . على اية حال انا اشكرك . لقد سعـــدت كثيرا برؤيتـــك الليلة ..

وسكن الليل ، وانقطع سقوط المطر .. الســـكون والليل الصامت ودخان اللفائف ، والماضي بشبابه واحلامه وزهوره وسعادته ، والحاضر باحزانه وكآبته وضياعـــه وآماله الخائبة .. فتح باب الحزن علـــى مصراعيه ، وفاض القلب بالاشجان ، واحس بانها قريبـــة الى قلبه وانها تفهمه تماما .. قال لها كمن يتكـــلم بلا وعي :

— صدقيني لم يعد هناك شيء يستطيع ان يسعدني لم اعد اطمع في شيء او ارجو شيئا . يخيل الي احيانا ان اقتناء شيء ثمين قد يسعدني فافعل واقتني ذلـــك الشيء وانا اتصور انه قد يصبح وسيلة للسعادة . لكن ما ان اتناول ما رغبت فيه من البائع واتخذ طريقي الى البيت حتى احس بتلك السعادة تتبخر وتتلاشى في



مثل لمح البصر .

ولاذ بالصمت .. قالت وهي تشمله بنظراتها :

— لقد صنعت من تشاؤمك توقعة سجنت نفسك فيها، وليس من شـــك في ان مشاعرك هذه هي مشاعر كثير من الرجـــال والشباب في هذا الجيل الضائع المتشائم الذي جنت عليه الحياة الحديثة باندفاعها وتناقضهـــا وضجيجها فماعاد يعرف نفسه ومضى يبحث عن شيء لا يعرفه .. انت شاب وتملك كل اسباب السعادة . لك اسرة واولاد .. لك جذور تربطك بالحياة ثم تبـــدو تعســـا .. ماذا افعل وانا عجوز وحيدة مقطوعـــة من شجرة ليس لي زوج او اولاد ومنسية من النـــاس جميعـــا ..

اطرق وتنهد وبدت له آلامه شيئا تافها ..

ازف الوقت لينصرف ، فاستأذن منها فقـــالت له في رقـــة :

— هل اراك مرة اخرى ؟

فتناول يدها بين يديه وضغط عليها في حنـــان وهو يعدها بالزيارة ثم خرج الى الطريق .

●●

السماء قد انجلى عنها السحاب وبرز القمر يرسل ضوءه الهادئ على الكون والمطر غسل كل شيء .. كل ما يقع عليه البصر بدا مغسولا لامعا نظيفا ، الشوارع هادئة ساكنة .. تلاشت الضجـــة والزحام وتبددت انفاس الناس الخانقة ، ولم يعد هناك سوى اشخاص قلائل يمضون مسرعين على الافاريز ، واطفئت كثير من الاضواء ، وشحبت مصابيح الطرقات ، وبدت اضواء النيون المتألقة في اعلى العمارات كأنها قلائد ملونـــة تطوق عنق الليل ، وكان وجه نعمت السمح المطمئن الصامد يلوح له بابتسامته الواثقة .

ومضى متمهلا صوب بيته .. البيت الذي تعيش فيه امراة لا يدري تماما كنه العاطفة التي تربطـــه اليها .. اهو يكرهها ؟ اهو يحبها ؟ ولكن يعيش فيه ايضـــا اولاده الذين يحبهم ولا يقوى على فراقهم ابدا ..

وكانت سمات سعادة غامضة ترتسم على وجهه الهـــادىء .

« سعد حامد »

القـــاهرة

الغاضبون

حين يقف الانسان حائرا امام غير الممكن .. يتحرك ليصبح غير الممكن ممكنا ، وبالتالي يحاول تفسير غير الممكن .. وبالتفسير يصبح التغيير حقيقة ، ويصبح غير الممكن ممكنا ...

وكامل زهيري في كتابه الغاضبون يعرض علينا «بعض الافكار التي تفسر غير الممكن ليصبح ممكنا ، ولقد يجد قارىء الكتاب في بعض هذه الافكار او كثيرا منها خاطئة وحمقاء ، ولكنه قصد ان يبسط بقدر الامكان تلك المذاهب الغريبة ، وهذا الادب الغاضب المغضوب عليه » ... حيث يحاول الانسان الغاضب ان يثبت كيانه في مواجهة التمزق الذي يعانيه، والانحدار الذي مني به بعد الحربين العالميتين !

الغاضبون إذاً كتاب يفسر لنا الغضب وفرسانه ، ويعطينا شحنة مثيرة عنهم .. فما هو الغضب ؟

في اعتقادي ان الغضب هو صورة من صور الاحتجاج .. والاحتجاج — في رايي — هو الرفض، والرفض هو التمرد على الواقع المعاش ، ومحاولة خلق واقع جديد، او الرجوع الى عالم آخر . والغضب انواع ... فقد يكون هناك غضب سياسي يتمثل في الاحتجاج على السلبية ، وهناك الغضب الاقتصادي، ويتمثل في التمرد على الواقع الاقتصادي المعيش الذي يسبب للفرد الغضب ، ويحاول ان يحقق مستوى لائقا في الحياة .. وهناك الغضب الاجتماعي الذي يتأكد في تبني فئات من الناس لفكرة معينة يحاولون بها هدم القائم واقامة ما ينبغي — في رايهم — اقامته ، وذلك عن طريق التمرد على العرف والتقاليد السائدة، وهناك الغضب النفسي ، وعادة ما يكون على مستوى الفرد ويتمثل في الرغبة في الانعتاق من الذات ، والخروج بها الى آفاق ارحب لاستكشاف الانا .. او يكون الغضب النفسي محاولة لابراز الانا وتاكيدها، وهذا له مخاطره التي تدفع الغاضب الى الانكفاء — في حالة الفشل — على داخله ليصبح سجينا لاعماقه ؛ ويكون غضبه ضد ذاته ، وبالتالي يعاني الاضطهاد ، ويسيطر التمزق على عالمه ، ويصبح غريبا غاضبا مغضوبا عليه !

والغاضب غالبا انسان متفرد ، يحس بذاته ويؤمن باختلافه عن الآخرين ، ويعتقد ان بيده مفاتيح الكون . وهو عادة يميل الى الاسراف في معاملاته، ولا يقبل انصاف الحلول، وهو يؤمن بانه محور العالم ، وهو دائما يتوق الى المجهول لاستكشافه، ودائما يحاول صنع عالمه من جديد ..

والفصول التي يضمها كتاب كامل زهيري تؤكد لنا هذه الامور عن الغاضبين ، ففي الفصل الاول بصفحتنا العنوان « تسقط البساطة »، وكلمة لسلفادور دالي ، الرسام السريالي الشهير : « الشيء الاكيد الذي اكرهه على كافة اشكاله ، هو البساطة ! » .. رغم ان البساطة هي حلم الانسان في الجزء الاخير من القرن العشرين . ان انسان عصرنا الذي يعيش اعظم منجزات الحضارة وهي الوصول الى القمر .. هذا

(١) كتاب «الغاضبون » اصدرته مؤسسة اخبار اليوم ضمن سلسلة كتاب اليوم من القطع المتوسط وعدد صفحاته ١٦٨ .



تأليف كامل زهيري



تعليق وعرض

محمود حنفي كساب

الانسان يتوق الى البساطة ، لقد تعقدت الحياة بحيث لم يعد الانسان بقادر على ان يخفي في داخله اي شيء ، ولم يعد الانسان في كثير من البلدان الا رقما في طابور او بطاقة في احد الادراج ، عليها كل ما يفيد الآخرين في التعرف عليه ، وتوقع رغباته وغرائزه .. ولعلنا نذكر ما نشرته الصحف وما تنشره عن الانسان الامريكي الذي يعيش حياته تحت اشراف مكتب التحقيقات الفيدرالي .. وذلك ان العلم والتقدم الذي احرزته البشرية مكن لهذه الجهات من الاشراف على اعقد ، واعمق الاشياء في حياة الانسان ... وهنا يزعق انسان عصرنا باعلى ما يملك من طاقة منادیا بالعيش في بساطة وهدوء والعودة الى الطبيعة والاغتراف من النبع الفياض للبشرية وهو الحياة ..!

ولكن الفنان الغاضب الرسام العظيم سلفادور دالي يلعن البساطة، وهو يلعنها كممثل للسريالية ، اعقد المذاهب الفنية في التصوير الحديث..

فما هي السريالية ؟

خرج انسان القرن العشرين فيما بين الحربين العالميين وبعد الحرب الثانية على وجه الخصوص ، يعيش الفراغ الذي خلفه سقوط المحاور التي كان يستند اليها في اوربا المذابح التي ارتكبها النازيون شاهد الاحلام تنهار ، والمبادئ، تداس بالنعال .. وكان على الانسان الفنان المصور ان ينشيء عالمه من جديد .. ولكن المشكلة كانت ان القديم لم يعد بمستطاعه الوفاء باحلامه المتمردة ، وبنظرته الجديدة الى العالم وامسك فرشاته ونثر الوانها بغضب على كل لوح ابيض ، لم يعد لديه القدرة على نقل الاشياء الى اللوحات، وانما اصبح يملك القدرة على فرض رؤاه الجديدة على العالم ، وكانت السريالية في التصوير تاكيدا لروح الغضب الذي تملك الانسان الفنان..

« ان السرياليين يلجاون الى اثارة الدهشة .. ذلك انهم يرون في ذلك سلاحا ماضيا للاحتجاج على المنطق والواقع ، ويعتقدون انه لا يكفي ان يقتصر الانسان على الواقع الذي يدركه المنطق ، ويرون في النفس الانسانية اغوارا عميقة لا يفسرها المنطق او القواعد العقلية التي توارثناها منذ فلاسفة اليونان والعرب والهندوس والصين ..

« والخيال الجامح هو نقطة البداية في السريالية .. وهم يعرفون الخيال بانه الشيء الذي سيصبح حقيقة ، ويعطون امثلة عديدة كان الخيال فيها يسمع ويرى بل ويلمس .. فجان دارك كانت ترى رؤى من الخيال وتخاطبها كأنها الحقيقة ... او لانها الحقيقة !»

وانسحبت السريالية على الادب وحاولوا دراسة الصدفة والقوانين التي تتحكم فيها ، حتى انهم كانوا يسئلون بلعبة على مقاهيهم حيث « يجتمع نفر منهم ويكتبون على اوراق صغيرة عدة اسئلة، ويكتبون الاجابات على هذه الاسئلة في اوراق اخرى على الوجه التالي :

— ما هو الفجر ؟
— **هو بزوغ الصباح**
— ما هي المرآة ؟
— **هي ما نرى فيه انفسنا**
— ما هو رجل البوليس ؟
— **هو حامي الامن العام**
— ما هو السخان الكهربائي ؟
— **هو انبوبة مليئة بالماء الساخن**
— ما هو الحلم ؟
— **هو وهم النائمين**

وتخلط الاوراق بعضها ببعض ثم تجمع كل ورقتين واحدة من الاسئلة وواحدة من الاجوبة ، وتظهر النتيجة وتكون كالآتي :

— ما هو الفجر ؟
— **هو ما نرى فيه انفسنا**
— ما هي المرآة
— **هي بزوغ الصباح**
— ما هو رجل البوليس ؟
— **هو انبوبة مليئة بالماء الساخن**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ما هو الحلم ؟
— **هو مصباح من مصابيح الشوارع**
— ما هو السخان ؟
— **هو وهم النائمين**

وهكذا يؤكد السرياليون تمردهم على المنطق ، وايمانهم بالخيال وامكانياته ... ولكن البير كامو يهاجمها بقوله انها عدمية .. عصيان دائم ، وتخريب منظم ، وعبادة للسخف ! فالسريالية في بدايتها كانت محاكمة لكل شيء .. لا تكاد تنتهي حتى تبدأ من جديد !»

ويذكر المؤلف قولا غريبا عن الرسام سلفادور دالي ، هو صيحته: « انك ، لكي تستطيع ان ترسم ، يجب ان تكون مجنونا !»

وينهي المؤلف الفصل الاول بقوله :

« وضح ان السريالية دعوة لمغامرات نفسية وفنية ومحاولات لاكتشاف ظلمات النفس .. ان السرياليين يقولون ان غايتهم تحرير الانسان ويعتقدون ان من حق الانسان ان يتحرر من كل قيد ايا كان نوع القيد ، وهم اقرب ما يكونون في ذلك الى الفوضويين . ولكن رامبو احد السرياليين العظام يقول : ان مهمتنا هي تغيير الحياة » .

ولكن السريالية بهذا تطرح التفكير العلمي جانبا وهو طريق مسدود « ولذلك كانت السريالية كالشهب التي لمعت في سماء الفكر حينا من الوقت ، وتحولت الى رماد .. او دخان .. وذكريات » .

وفي الفصل الثاني وهو عن « الحب بين الحرام والعيب » والموضوع من اكثر الموضوعات طرافة وهو بالطبع موضوع شائك لانه يتناول العلاقة بين الرجل والمراة وقبل ان نمضي في عرض ما احتوته صفحات هذا الفصل المثير من الكتاب يهمنا ان نلقي بعضا من الضوء على بعض الافكار عن العلاقة بين الرجل والمراة ..

من المؤكد ان العلاقة بين الرجل والمراة تعتمد اساسا على المستوى الحضاري الذي يصل اليه المجتمع عبر مسافات من التقدم والرخاء الاقتصادي .. ولا شك ان المجتمع الذي يتحقق فيه الرخاء والرفاهية هو المجتمع الذي يعمل بكل طاقاته، وهو مجتمع يعيش افراده حياتهم بكل حريتهم ، والمراة في اعتقادي مقياس تقدم الامم .. فاذا اردت ان تعرف مدى ما وصل اليه اي مجتمع من تقدم فعليك باستقصاء وضع الانثى فيه .. فاذا كانت في وضع يسمح لها بان تمارس دورا ايجابيا مساويا للرجل فهذا المجتمع مجتمع صحي تقدمي والعكس صحيح ، ومن المؤكد ان مكانة المراة تتاكد عبر القيم الدينية السائدة في المجتمع ومدى سيطرة الرؤى الاجتماعية الجديدة المنحازة الى العدل والحرية ، والقيم التقدمية التي ينحاز اليها المجتمع .

ويهمنا في هذا الصدد ان ننوه بان المراة المصرية — رغم تشوقها للانعتاق من القيم البالية ورغم كفالة الدستور والميثاق لحقها في مشاركة الرجل في صنع الحضارة على ارض وادي النيل — تعيش عصر الحريم .. ذلك ان الظلام الذي فرضه عليها المجتمع المذكور في القرون الماضية اثر على تفكيرها ، وطريقة سلوكها ، وبالتالي ما تزال اسيرة سلطة الرجل رغم استقلالها الاقتصادي ، وهذا بالطبع يؤثر تاثيرا بالغا على طريقة حياتها ، وخاصة عندما تتعامل مع الرجل ... ورغم ان الغالبية العظمى منا تؤمن بان الحب بين المراة والرجل هو نتيجة منطقية لاقتناع كل منهما بالآخر .. الا اننا ننكر الحب ، ونعتبره مسالة تتعلق بالشرف وهذا يرجع — بالطبع — الى الاساليب الخاطئة المتجنية في تربية اولادنا ، حيث ننظر الى العلاقة بين المراة والرجل من وجهة نظر واحدة الا وهي الجنس ، ويرتبط الحب عندنا فورا بممارسة الجنس غير الشرعي ..

وانطلاقا من هذا المفهوم ... كان الفصل الذي كتبه كامل زهيري عن الحب .. فلقد عرض لظاهرة (الدون جوانية) عند الاسبان والعرب .. ويقول عن الحب « انه قد يكون ظاهره هو اللهو ، ولكنه في حقيقته قرب من المعرفة ، واقتراب من اعمق خلجات الانسان ، فالذي لا يحب لا يستحق الحياة ، ولايستحق شرف العيش ، لان الحياة معاناة . ومن كابدها عاشها ، ومن عافها خرج من الحياة قابضا على الريح او حاصدا للعاصفة ، والعاطفة عاصفة، وقد تكون نسيما ، وبين العاصفة والنسيم تهتز انفاس الحياة».

وكلنا قد عرف بطريق او باخر اسطورة (الدون جوان) غاوي النساء .. هذه الحكاية الاسبانية لم يبتدعها الاسبان وانما ابدعها العرب قبلهم بخمسة قرون .. كتبها ابن حزم عن ابن عامر الدون جوان العربي .. قبل ان يكتبها الكاتب الاسباني ترسواي فولينا .

ولكن مؤلف الدون جوان الاسباني يجعل نهاية دون جوان نهاية ماساوية .. ذلك انه كان رجل دين.. وهناك قصة حديثة صورها المخرج المعاصر (بيرجمان) عن دون جوان وقد خرج من الجحيم لتوه وذلك لاغراء فتاة فاضلة ، ولكنه يفشل ، والمشكلة انه وقع في حبها فيعود ملطخا بالخيبة ليستانف العذاب !

كان دون جوان الاسباني وابن عامر العربي من المتمردين ... كانت قيود المجتمع ، واسلاك الحب العذري تستهويهما في العبث بهما وتحطيمهما .. كانا احتجاجا على القيود المفروضة ، لكنهما انتهيا ليصبحا علامة ورمزا لاهمية انفتاح عالم المراة على عالم الرجل ، حيث لا مكان للتغرير وانما للصدق وللحب الحقيقي !

وفي الفصل الثالث وهو عن الفوضوية ، يعرض علينا المؤلف فكر الفوضوي واسلوبه في الحياة ؛

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانعكاسات ذلك على الادب والفن ، ومن المؤكد ان الانسانية لكي تصل الى المجتمع المنظم الذي يتميز بالمركزية ووضوح السلطة ، والعلاقات المنظمة دفعت الكثير ، وضحت بالملايين ، ولكن الفوضوي ينكر النظام ، ويتحدى القانون الذي يفرض النظام ..

ولا شك ان وسائل الانتاج واهميتها في اشباع حاجات الانسان كانت السبب الرئيسي في اللجوء الى تنظيم المجتمع ، وذلك حتى يتسنى للانسان الحصول على حاجاته ،ولكن الفوضوي يرفض ويثور ، ويغضب ويدمر ..

هل الفوضوي ثائر؟ ــ لا . هل هو مدمر لكل شيء ، حتى نفسه ؟ ــ لا .. الفوضوي انسان غاضب ، وغضبه لا يجعله يحس بحاجته الى انشاء عالم جديد . وفي حوار اورده المؤلف بين احد الفوضويين وآخر يقول :

ــ « ان العمل مذهبنا .. والعلم الحديث الوحيد الذي يجب ان يتعلمه الفوضوي : هو الكيمياء .

فسأله :

ــ فلماذا الكيمياء بالذات ؟

فقال : ــ حتى يستطيع ان يصنع القنابل بنفسه ..!»

وفي بيان اذاعه الفوضويين يقولون :

ــ « لن نحترم اي اثر يمت الى الماضي ، فاي تمثال يشير الى الماضي سنهدمه بلا الم ولا ندم .. ان مهمتنا هي احالة هذه المباني الضخمة الى خرائب » .

وحين قبض على احد الفوضويين بتهمة السرقة واشعال الحرائق ،قال لرجل البوليس : « انت تقبض علي باسم القانون ، وانا اقضي عليك باسم الحرية !» واستل خنجرا واخذ يطعن به رجل البوليس ..

ويقول باكونين احد الفوضويين المشهورين : « ان عاطفة التخريب والهدم عاطفة خلاقة ..»

واختلطت الفوضوية بالحركة الرمزية في الادب . وظهر شعراء وادباء منهم سنيوارت ميدل وهو شاعر امريكي يقول : « ان المجتمع الحديث يشبه قصيدة رديئة النظم ، ولذلك يجب انقاذ الشعر بالمذهب الرمزي وانقاذ المجتمع بالفوضوية » ...

ولكن الفوضوية هزمت ، ونظرتها الى الدولة كانت خاطئة واوصدت ابواب التاريخ امامها ، ولعل التحدي الذي تواجهه الآن هو تحدي التقاليد والقانون !

وفي الفصل الرابع من الكتاب ، يورد المؤلف حكاية كتاب (الفاشوش في حكم قراقوش) لابن مماتي ، والكتاب يعتبر وثيقة من وثائق المقاومة المصرية ضد طغيان الولاة ، وذلك عن طريق السخرية بهم ... ولقد كان قراقوش حاكما مستبدا ظالما جاهلا .. يروي ابن مماتي في كتابه ان « الشرطة » جاءت لقراقوش باحد غلمانه الذين قتلوا نفسا بغير حق ..

فقال قراقوش

فقالوا له :

ــ انه حداد الذي يعمل لك الفرس ، فان شنقته انقطعت منه ولم تعد تجد من يعمل لك فرسك . فنظر امام بابه فراى رجلا قفاصا .

فقال قراقوش

ــ اشنقوا القفاص ، وسيبوا الحداد .

ويؤكد بعضهم مثل كازانوفا ، ان « ابن مماتي اراد بكتابه الفاشوش ان يسخط الشعب على الدولة الايوبية التي كانت سنية وورثت الحكم عن الفاطميين الشيعة،وبالتالي يكون كتاب الفاشوش نوعا من كتب الدعاية » . ذلك ان « ابن مماتي كان من الكتاب الجادين المفكرين ، لذلك صور غضبه على حكم قراقوش في كتاب ساخر لعله اصدق ممثل لروح شعبنا الساخرة ، وبالتالي تحول كتاب الفاشوش الى سيف فرق الاستبداد ،وشوه المستبدين ووصمهم بالحماقة والشذوذ ، وهي سخرية ترقى الى ذرى الادب الانساني الرفيع .»

قيل لبرنارد شو الاديب الايرلندي العظيم : « لماذا لا تكتب قصة حياتك ؟ »

فرد قائلا :

ــ انني لم اقتل احدا حتى اكتب تاريخ حياتي ..

وفي الفصل الخامس يعرض لنا المؤلف نتفا عن برنارد شو العظيم وامام الغاضبين في الادب الانكليزي.. وكلنا يعرف ذلك الرجل ذا اللحية الكثة ، والعيون الضيقة بمسرحياته وافكاره الاشتراكية ، ويعرض المؤلف لافكار شو عن الانجليز فيقول :

« ان الانجليز عموما ليست لهم موهبة خاصة الا في الوظائف الكتابية الكتبية ، في الاعمال البيروقراطية .. فمن الصعب ان تحول اعرابيا بدويا الى موظف حكومة ، ولكن من السهل جدا ان تحول انجليزيا الى بيروقراطي موهوب »

وعن نظرية الفن للفن يقول برنارد شو : « كل محاولاتي تحت شعار الفن للفن انتهت بالفشل .. وكأنني كنت اغرز المسامير في الورق» ... وعن الصحافة يقول :«انها تعلم الادباء كيف يفسدون اعمالهم .. ذلك ان الصحفيين يقفون دائما عند البديهيات والمظاهر ، ولا يتعمقون ، والحقيقة الساذجة لا تزوّر الا في ذهن الطفل والعبيط ،لذلك لا تنفع الصحافة الا للشبان ، ولكن على هؤلاء الشبان ان يعيشوا بزهد وبساطة حتى يستطيعوا البحث عن الحقيقة ... والكتابة عنها بصراحة » .

« ولم يستطع برنارد شو ان يصبح جنديا في معركة الاشتراكية .. لذلك اختار ان يكون قديسا ساخرا .. فهو يضرب ذات اليمين وذات اليسار .. سخر من الحاكم الرجعي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

.. ويقول على لسان الملك في مسرحيته « عربة التفاح » :

— « لو انني كنت انسانا حقا لما اصبحت ملكا .

انني مجرد صنم

وكل ما استطيعه ان اكون صنما رحيما » !

وهو في نفس الوقت يسخر من رؤساء النقابات الرجعيين او الانتهازيين فيقول على لسان رئيس النقابة :

— لا يوجد ملك يطمئن على ملكه مثل رئيس النقابة ..!

بعد ان انتهيت من قراءة الفصل السادس وهو عن الاديب الوجودي العظيم البير كامو وجدتني اتساءل : ما هي الحرية ؟ ما هو الانسان ؟ ما معنى الوجود ؟ ووجدت اعماقي تجيب : الحرية هي القدرة على النطق وممارسة « لا » .. وان الانسان هو اعظم معطيات السماء.. ولكني امام معنى الوجود وجدتني حائرا لا استطيع الاجابة .

« .. كان البير كامو من هؤلاء الذين يميلون الى الوحدة» .. كان يسير وحيدا ، ويدرس وحيدا ويقف وحيدا . والشيء الوحيد الذي تعود عليه البير كامو منذ صباه هو الوحدة .. وهو في روايته (الغريب) التي نال من اجلها جائزة نوبل ، استطاع ان يجسد المازق الذي يعانيه انسان العصر الغريب الذي يقتل لمجرد ان الشمس واجهت عينيه فجاة على شاطيء البحر .. الغريب الذي لا يجد للحياة معنى « وانها عارية واقل من عارية، انها سخيفة ، يسحقها الروتين ، ويمزقها الملل ، فالانسان يصحو من النوم ويركب الترام ويقضي ٨ساعات في المكتب او المصنع ويتناول طعامه ثم ينام ، وهكذا تمضي الايام ... فاين هي الحياة الحقيقة ؟؟ ان الانسان يشبه (سيزيف) بطل الاسطورة الاغريقية الذي يحمل صخرة كبيرة الى اعلى قمة الجبل ، حتى اذا كاد ان يدركها غلبته الصخرة ، فخارت قواه وعادت الصخرة الى السفح من جديد وبدا سيزيف يصعد الجبل !.. ان لذة الحياة في رفع الصخرة وليست في غاية الحياة .. فليس للحياة غاية سوى الموت».. ووجدتني اقول : « انا اثور ، اذن فنحن موجودون ». على طريقة ديكارت (انا افكر ، اذن فانا موجود) ! .

كان البير كامو اشهر ادباء فرنسا ، «وفي باريس جاءته الشهرة والمال والمجد ، لم يعبأ بشيء من التمتع بالشهرة او بالمال او المجد .. فعندما جاءه المجد — بعد جائزة نوبل — قال انا لا ابحث عن المجد انما ابحث عن السعادة » ..

كان البير كامو من هؤلاء الغاضبين الذين يريدون الحياة ، ولكنها ليست الحياة التي نحياها .. انما الحياة التي يؤكدون فيها عظمة وجودهم ، وقيمة رفضهم للنمطية ، وروعة ثورتهم !

وعن سيزيف ذي بوهوا طبعت المراة المغلقة ، كتب المؤلف [illegible] فصول الكتاب .. حيث جسد لنا هذه المراة الانثى ذات الوجود الواضح المميز واحد ملامح فرنسا الثقافية .

وفي الكتاب فصل عن الكاتب السوفييتي الكبير اهرنبورج الذي كتب رواية « ذوبان الجليد » كتاريخ لبداية مرحلة جديدة في حياة الشعب السوفييتي ، والتي تنبأ فيها بافول نجم ستالين .

وهناك فصل عن الشاعر السوفييتي الشاب : ايفتوشنكو اثناء زيارته للقاهرة حيث يصوره لنا ويبرز سلوكه كشاعر من راسه الى قدميه .. كشاعر غاضب يهز الحياة وتهزه ..!

وفي الفصل التاسع يقدم لنا المؤلف لوحة متعددة الرؤى عن العدميين . والعدميون ، من اسمهم الكئيب يميلون الى الهدم ، ويسعون اليه ، وهم يائسون لايعون سوى اللحظة التي يسحقون فيها ، وذلك بتاثير الحضارة التي تضغط على اعصابهم ، وهم لا نهائيون يعانون من الظلم وكان اول ظهورهم في روسيا القيصرية .. وقد صور البير كامو في مسرحيته (العادلون) نفسية العدمي على لسان (كاليائيف) .. حيث يقول لاصحابه انه انضم اليهم لقتل القيصر « لا لانني مللت الحياة .. ليس اليأس هو الذي دفعني اليكم .. بل انه حب الحياة » .

ويقول نيتشائيف احد زعمائهم الخطرين :ان العين بالعين والاستبداد بالارهاب . وكان يقول ايضا :

« ان الثوري فردمتميز ليست له مصلحة ولا عمل ، بل وليس له اسم . كل شيء ذاب فيه ما عدا مصلحة وحيدة وفكرة واحدة وعاطفة فريدة هي : الثورة . الثورة على كل شيء .. حتى الوطن يسخطون عليه، ويلعنونه صباح مساء . والعلم يكرهونه ويحتقرونه لانه قصر في روسيا على الذوات والارستقراطية، والفن يدوسون ازهاره باقدامهم » ؛

« ولكن .. ماذا بقي من العدمية الان ؟ » .

لقد كانت احراقا واحتراقا .. وانطفات شعلتها كما تنطفيء النيازك المضطربة .. ولهذا اشتقت اسمها وافكارها وحياتها وآلامها من .. العدم !

وفي الفصل الاخير وهو عن الارهاب والتكنولوجيا .. وعبر ذكريات الكاتب عن باريس وروعتها يطلعنا على فكر الشباب الجديد الذي التقى به هناك وايمانهم بفكر هوبرت ماركوس واستهدافهم به في تمردهم « .. وهوبرت ماركوس يفسر للشباب مأساة المجتمعات العصرية .. ففي المجتمع الذي يسبق الراسمالية والذي يتمنى ان ينهض من كبوة التخلف للحاق بركب التطور ، او يسمونه التفوق التكنلوجي ، هذا المجتمع

يقع تحت سطوة الارهـــاب ... فالارهاب هو القوة التي توحد هذه الشذرات المتطـــايرة ، والجموع المتنافرة والآراء المتضاربة .

ولكن الاخطر من ذلك ــ بالنسبة للقاريء الاوربي ــ هو انه يعلن ان المجتمع الصناعي المتقدم ليس افضل ، ولا احسن ..

لانه يضع بدلا من ســـطوة الارهاب ، سطوة اعتى والعن ... انها سطوة التكنولوجيا .. ويحلل هربرت ماركوس ظاهرة حـــلول التكنولوجيا محل الارهـــاب ، بان مجتمع الوفرة يشدد قبضته عـــلى الانسان بوسائل علمية حديثة بعضها منظور وبعضها غير منظور ، واخطر من كل هذا انه يجعل الانسان يقبل الاستبداد مقـابل بضع بضـــائع استهلاكية » .

ويمضي المؤلف في عرض افكار هربرت ماركوس ويقارنها بافكـــار آخرين في عذوبة لا حد لها ..

والحق انني ما ان بـدأت في قراءة الكتاب حتى وجدتني اغـوص في محيط لا قاع له ، وخلت انني لا محـالة غارق ، وما ان انهيت الفصل الاخير حتى وجدتني اطفو على السطح بنفس المهارة التي اخذني بها المؤلف الى الاعماق .. واشتقت الى قراءته من جـديد ..

تبقى كلمة واخيرة وهي ملاحظات .. كنت اود لو ضمها الكتاب :ــ

ــ هناك حركة ادبية وفنية غاضبة تثير معركة من الشكل والمضمون في الادب المصري الحديث ، وصفحـات مجلة روز اليوسف ميدان الآن لهذه المعركة .

ــ اثناء قراءتي للكتاب كنت انتقد في كثير من الاحيان شخصية الكاتب وانتقدت تعاطفه وانحيازه في الكثـير من الفصول .. مما جعلني اعتقد ان الكتاب لا يعدو ان يكون توليفة متقنة دبجها قلم متمرس باسلوب التحقيق الصحفي !

ــ انتقدت في الكتاب فصـــلا عن صمويل بيكيت ويوجين يونســـكو ، كاتبي اللامعقول ، وهما في رايي من الغاضبين ..

ــ اعتقد ان الكتاب بصورته الحالية غير كاف . وما زال الكتاب يكتـب فصولا اخرى عن الغاضبين في (روز اليوسف) و (صباح الخير) .

وفي النهاية .. الكتاب مثـير وممتع واسلوبه سهل رشيق العبارة، كانت المكتبة العربية في اشد الحاجة اليه ، فمرحبا به .

القـاهرة :

محمود حنفي كساب

آلام الخطى

شعر : يعقوب يوسف السبعي

هَـلْ تُـرى مَا تَـمَّ لي قَـدْ تَـمَّ لـكْ ؟
أَمْ تُـرى بَعْـدِيَ شَـيءٌ بَـدَّلَـكْ ،

أَنَـا مَا زِلْـتُ وَإِنْ جَـفَّ دَمِـي
ذَلِـكَ القَلْـبُ الَّـذي كَـمْ دَلَّلَـكْ

ذَلِكَ القَلْبُ الَّذي يَخْضَرُّ عَلى
مَـرِّ أَعْـوَامٍ لَـهُ أَلْفَ مَلَـكْ

لَعِبَتْ بِـهِ بَعْـدَكَ الأَيَّـامُ فِـي
سَاحَةِ الآلامِ فِـي لَيْـلٍ حَلَـكْ

خَلَّـتْ قَلْـبِي مَـوْدَاءَ الخَطَـى
أَلَـمَ الخَطْـوَةِ أَيَّـانَ سَـلَكْ

آهِ لَـوْ تَـدْرِي بِمَـا يَجْتَاحُـنِي
لانْتِبَـاحِ الهَـمِّ أَنْ يَتَنَـزَّلَـكْ

آهِ لَـوْ عَايَنْـتَ مَا عَايَنْتُـهُ
لَطَغَـى الـدَّمْـعُ وَأَدْمَـى مُقْلَتَكْ

يَـا حَبِيـبِي اتْلَفَتْنِـي مِحَـنٌ
لَهُـمُومٍ هِـيَ مِـنْ حَـوْلِي قَلَكْ

نَمْـنَـمَا مَا مَـدَّ فِـي عُمْـرِي سِوَى
تَـرْفِ الشَّـوْقِ بِقَلْـبٍ هَـوَ لَكْ

إِذْ حَمَلْـتَ الصَّعْـبَ فَـوْقَ الصَّعْبِ فِي
مَسْلَكِ الحُـزْنِ مَوْصُـولِ الحَـلَكْ

قَـدْ سَـأَلْتُ اللَّـهَ أَنْ يُنْقِـذَنِـي
حِـينَ أَوْحَـى اللَّـهُ لِـي أَنْ أَسْأَلَكْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نجيب محفوظ في قصته «ثرثرة فوق النيل»

بقلم خيري الضامن — ترجمة رضوان ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



يعتبر الدكتور لويس جوض ، نجيب محفوظ الاخ الاصغر لكل من ديستويفسكي وبلزاك (١) ، ويقارنه بيكنز وديكنز(٢) . اما الدكتور علي الراعي فيضعه في صف واحد مع ديكنز ، وتولستوى ، وجيمس جويس(٣) .

ولا شك ان انتاج نجيب محفوظ يتمتع بشعبية ضخمة في جميع البلدان العربية(٤) ، وانه واحد من اكبر كتاب الرواية ، وممثل الواقعية النقدية .

وتتميز الحقبة الراهنة في انتاج نجيب محفوظ — بعد ثلاثية « بين القصرين » — بتاكيد حق الانسان في حياة سعيدة ، وتعميق النقد الاجتماعي في المجتمع المصري .

وقصته «ثرثرة فوق النيل » واحدة من الاعمال الاخيرة لنجيب محفوظ ، فقد ظهرت عام ١٩٦٥ ،وموضوع القصة هو موقف المثقفين من المجتمع المصري .

وتتطور احداث الرواية في مرضعين : على ارضية الحياة الواقعية ، في مكتب انيس زكي بوزارة الصحة، و « في جانب من الحياة » ، اي في تدخين الحشيش في عوامة على النيل .

ففي الصفحات الاولى نرى انيس زكي في العمل ، ولكنه في حالة خدر عقلي ، انه وهو ينسخ وثيقة رسمية لا يلاحظ ان الحبر قد نفد من القلم عند منتصف

النص ، وهو مع ذلك مستمر في الكتابة ، ومن جراء هذه الواقعة السخيفة تحل به العقوبة .

والواقع ان انيس زكي عاد الى العوامة ، حيث يدخن الحشيش ، ويلتقي بالاصدقاء الذين يدخنون الحشيش ، انهم يجتمعون هنا كل مساء ، حيثيحتدم الجدل ، وتدور « الثرثرة » حول مشاكل الحياة المختلفة، مما يجري في العالم الخارجي لا يهم سكان العوامة في شيء ، فلا يهمهم خبر انتحار المراة التي القت بنفسها من الطابق الثامن ، ولا اخبار الذين غرقوا بالقرب من العوامة .

لكن هؤلاء هم سكان العوامة يصبحون في حالة من الكآبة ، واحيانا يهجرونها ليلا — اذا هوجموا — في سيارة الشخص الذي مات هناك ، الا ان هذا الحادث لا يلمس بالعمق الكافي قلوبهم التي انسحبت من حياة الناس .

والاساس في القصة هو اكتشاف فكرة الحياة من خلال « ثرثرة » المثقفين ، والاشارة الى المتناقضات في معتقداتهم .

وفي « ثرثرة فوق النيل » كثير من الشخصيات الواقعية ، لكنهم — على وجه التقريب — سلبيون ، من امثال الموظف انيس زكي ، والصحفي الناقد علي السيد، والممثل رجب ، وكاتب القصة خالد عزوز ، والمحامي مصطفى راشد ، والعاملة في وزارة الخارجية سعاد كامل ، والطالبة سناء وغيرهم .

والقصة تصور بوضوح ، راي الناقد المصري عبد العظيم انيس ، الذي قال في عام ١٩٥٥ عن بالنسبة لنجيب محفوظ تتميز قصصه بصفة خاصة بوجود عدد كبير من الابطال ، مع غياب صورة البطل الكاملة ، الزاخرة بالحياة ، المتعددة الجوانب ، وهو البطل الايجابي بالمفهوم الكلاسيكي (٥).

لقد حاول نجيب محفوظ في رواياته وقصصه الاخيرة ان يبدع انماطا رائعة ، والى حد ما متعددة الجوانب ، (مثل سعيد مهران في قصة « اللص والكلاب » ، وعمر حمزاوي في قصة « الشحاذ » وصابر الرحيمي في رواية « الطريق » ، وعيسى في رواية « السمان والخريف »)، لكنه في قصة « ثرثرة فوق النيل » ، يعود نجيب محفوظ الى تنوع النغمات على اساس الابطال السلبيين ، فالابطال السلبيون عند نجيب محفوظ برهان على انهيار البورجوازي المتوسط .

وفي قصة « ثرثرة فوق النيل » ينتقد نجيب محفوظ اكثر مما ينتقد في اي عمل من اعماله الاخرى . و «ثرثرة فوق النيل» قصةسيكولوجية فلسفية ، فمن خلال ابطالها (وعلى راسهم انيس ، وسمارة ، والمعلم عبده) يقص الواقع ، ومن خلال افكارهم وخلجاتهم النفسية تتكشف فلسفة الحياة .

والكاتب يريد ان يقول ان الانسحاب من الحياة باية صورة لن يكون هو الوسيلة ، ولن يحل مشكلات هذه الحياة بالكفاح ضد المتاعب ، ولكن الوسيلة الوحيدة هي وعي الانسان بدوره في المجتمع،والانسان — وخاصة المثقف — يمكنه ان يكون هو الانسان الحقيقي ، انسان هذا المجتمع .

ان نجيب محفوظ لا يقول هذا بطريقة مباشرة ، انه يصور — شان الفنان العظيم — نماذج منوعة ، وصورا مأخوذة من الحياة الواقعية للناس ، ويكشف عن افكارهم وامزجتهم ، ويجلي هذا كله بقدر ما يكون هؤلاء الناس بعيدين عن صورة الانسان والشعوب المناضلة من اجل السعادة .

فانيس زكي — على سبيل المثال — يفكر في انه « لن يحدث شيء على الاطلاق » في هذا العالم ، « ولا فائدة من الجميع » ، و « عندما نطير الى القمر فسوف نكون هاربين من لا شيء الى لا شيء » .

ويشعر انيس زكي انه غريب على هذا المجتمع ، وان شبح العزلة يطارده في كل مكان ، لكنه لا يرى اسبابا اجتماعية لهذا الموقف ، والحق ان نجيب محفوظ نفسه يشير بنوع خاص الى هذه الاسباب ، ويؤكد ضرورة الاهتمام بها .

ولا يرى انيس زكي رايا في الحياة ، فالحياة بالنسبة له سخافة كبرى ، واحسن شيء ان يتحرر من متاعبها بادمان الحشيش وسط هؤلاء الناس ، كما هو وهم.

والصورة المسلية والمعقوة للمعلم عبده تجمع بين كل المتناقضات في وقت واحد ، فهو من ناحية مؤمن ومؤذن ، ومن ناحية اخرى هو وسيط بين النساء الساقطات ، وسكان العوامة الذين يدمنون تدخين الحشيش ، وهو حلقة الاتصال الوحيدة بين الحياة في دخان الحشيش على النيل ، والحياة على الشاطىء.

وبطل القصة الايجابي الوحيد هو الصحفية سمارة بهجت ، انها تحاول ان تؤثر تاثيرا معنويا على سكان العوامة الذين يدخنون الحشيش ، لكي تنقذهم ، لكن جهودها تذهب ادراج الرياح .

والرمز يلعب دوره الكبير في القصة كوسيلة لابراز الحياة الواقعية لمصر ، وهذا الدور الذي يلعبه الرمز يتكشف منذ بداية القصة ، حينما يقول : ان « ابريل شهر الغبار والاكاذيب » ، ومنذ البداية يقترن هذا بالاكاذيب التقليدية لاول ابريل ، ولكن يصبح من الواضح بعد ذلك ان الكاتب يريد ان يعرض مكتب انيس زكي كمأوى للغبار والرونين والكذب في كل ما يسجل عن المواليد والوفيات من الناس .

كذلك يبدو الرمز في اغنية الحكيم ابيوارا لفرعون.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التي يعرض فيها الحكيم لفرعون جميع رذائل المجتمع .

وفي قصة « ثرثرة فوق النيل » يلعب التاريخ دورا كبيرا فمنذ الصفحة الاولى من هذا العمل يلجا المؤلف باستمرار الى التاريخ ، بادئا بذلك العصر الذي يدعى عصر الطحالب ، فالعصر الحجري ، ومنتهيا بعصر الفضاء ، كما يتجه الى تاريخ مصر ذي الاحداث العظيمة والغنية(٦) .

و « التاريخ » في الرواية اسلوب فني بحت ، فنجيب محفوظ يسارع الى جولة تاريخية من اجل ان ينقذ بطله « انيس زكي » ولو انه تخلص بنفسه من الحقيقة الراهنة التي احس فيها بنفسه غريبا ،والوسيلة «المادية» الاساسية للخروج من الحقيقة المحدقة بابطال القصة هي الحشيش .

وفي هذه الرواية نحس بتاثر المؤلف في بعض ابداعه ببعض الاتجاهات الفلسفية والادبية الغربية ، وخاصة بالنزعة الوجودية المعروفة في معتقدات انيس زكي ، وفي عزلته عن الحياة العادية التي لا يرى فيها رايا .

هكذا نرى انيس زكي — على سبيل المثال — يشاهد مسرحية في مكتبه ، حيث « دبت حركة عجيبة في رئيس القلم ، فشملت اعضاءه الظاهرة فوق المكتب، حركة تموجية بطيئة ، ولكنها ذات اثر حاسم ، فراح ينتفخ رويدا رويدا ، فيمتد الانتفاخ من الصدر الى الرقبة فالى الوجه ، ثم الراس وحملق انيس زكي في رئيس بعينين جامدتين ، واذا بالانتفاخ البادئ اصلا بالصدر يتضخم ، فيزدرد الرقبة والراس ، ماحيا جميع القسمات والملامح ، مكونا من الرجل في النهاية كرة ضخمة من اللحم ، ويبدو ان وزنه خف بطريقة مذهلة ، فمضت الكرة تصعد ببطء اول الامر ، ثم بسرعة متدرجة ، حتى طارت كمنطاد ، والتصقت بالسقف(٧)» .

لكنه من الممكن ان نكون مخطئين اذا فكرنا ان نجيب محفوظ واقع تحت تاثير الوجوديين وحدهم (مثل كافكا ، وكامو ، وسارتر) ، فان كتاب « مسرح العبث » (مثل يونيسكو ، وبيكيت ، وآدموف) ، من الممكن ان يكون لهم تاثير على نجيب محفوظ ، وكذلك ما يعرف باسم « الوجودية المصرية » لعبدالرحمن بدوي .

ومن الممكن ان نجد البطل الفاتر في الرواية المصرية ، مثل صورة ابراهيم في رواية ابراهيم الكاتب للمازني ، وملامح « ادب العبث » تتجلى في رواية توفيق الحكيم « يا طالع الشجرة » وكذلك في رواية المازني « ابراهيم الكاتب » .

ففي الرواية الاخيرة يرى البطل في منامه انه قد استحال الى زجاجة من الجعة المثلجة ، وان رئيس البلدية قد شربه ، ويعترض ابراهيم ، ويحاول ان يقف في حلق الرئيس الذي تجرعه ، وهنا يزداد بدانة ، لانه اعطاه غرصة ليترقى الى اعلى درجات المنصب (٨) .

والاهمية الفنية لهذا المشهد انه يشبه اعلى حادث لانيس زكي مع المدير المذكور .

واللغة في رواية « ثرثرة فوق النيل » سهلة ، ورمزية ، ونجيب محفوظ يكتب جملة قصيرة ومعبرة .

والحوار بين الشخصيات مكتوب بلغة ادبية ، ويمكن ان يوضح هذا الى حد ما ان الابطال اساسا من بين المثقفين .

لكن حديث العم عبده باللغة الادبية يبدو غير مناسب ، لانه كان من المفروض ان يتحدث باللهجة المصرية الدارجة التي يتحدثبها افراد الشعب البسطاء، واغلبية المثقفين انفسهم .

ولقد استطاع نجيب محفوظ ان يزاوج بين لغة المسرح ولغة الرواية ، وان يستخدم الاسلوب الدرامي في الحوار .

وهو يلجا حتى الى الاسلوب التركيبي غير العادي ، ويضمن روايته المنهج التفصيلي للمسرحية ، الا ان هذه الظاهرة ليست جديدة على الادب المصري ، فهناك العقاد الذي ضمن روايته « سارة » مسرحية ذات فصل واحد ، مكتوبة بقلم واحد من ابطال الرواية، وهكذا بالمثل مشروع المسرحية في قصة نجيب محفوظ « ثرثرة فوق النيل » ، وهي القصة المكتوبة بقلم البطلة سمارة بهجت ، وفي هذا الصدد يمكن ان نشير الى رواية « بنك القلق » لتوفيق الحكيم التي يسميها الحكيم نفسه « رواية مسرحية » .

ان قصة نجيب محفوظ « ثرثرة فوق النيل » خطوة في الطريق الى كلمة الفنان العربي ، وهي خطوة لها خطورتها الكبيرة بالنسبة لابداع الكاتب ، سواء من وجهة نظر المنهج الفني ، او من حيث النزعة الاجتماعية.

(١) دكتور لويس جوص ، « دراسات في النقد والادب »منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص٥٧

(٢) ي. أ. روشين ، نجيب محفوظ وثلاثينه « بين القصرين » .

(٣) دكتور علي الراعي ، « دراسات في الرواية المصرية » مطبعة مصر ، ١٩٦٤ ، ص ٢٤٥ — ٢٤٦

(٤) دائرة المعارف الموجزة مجلد ٢ ، ١٩٦٤ ، ص ٨٧٤

(٥) محمود امين العالم ، وعبد العظيم انيس ، « في الثقافة المصرية » ، دار الفكر الجديد ، بيروت ، ١٩٥٥ ، (فصل الرواية المصرية الحديثة) .

(٦) نجيب محفوظ ، « ثرثرة فوق النيل » القاهرة ، ١٩٦٥ .

(٧) نفس المرجع ، ص ٥ ، ٦

(٨) دكتور علي الراعي ، بحث في الرواية المصرية ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمة على هامش

بقلم الدكتور مختار الوكيل

تواضعت فظفرت

مسرحية تأليف :

اوليفر جولدسميث



ترجمة وتقديم :

الاستاذ علي زكريا الانصاري

مراجعة :

د. محمد اسماعيل الموافي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدفة كان لقائي مع الاخ علي زكريا الانصاري في شارع (الرون) بجنيف . ورب صدفة خير من الف ميعاد .

لقد عادت بذهني وخيالي القهقرى عدة سنوات، حينما كنت اعمل مندوبا دائما للجامعة العربية في جنيف، وكان هو يمثل الكويت لدى مؤتمر التربية الدولي في وفد يرئسه الوزير النبيل الاستاذ عبدالعزيز حسين . والاستاذ علي زكريا الانصاري هو اليوم سفير الكويت ومندوبه الدائم لدى الامم المتحدة في جنيف .. ولقد تلطف معي برغبته المعهودة ، فدعاني الى مكتبه واهداني مسرحية نقلها الى العربية عن اوليفر جولد سميث ، وهي مسرحيته المشهورة « She Stoops to Conquer » التي اختار لها عنوانا جذابا بالعربية هو « تواضعت فظفرت » .

ولقد وعدته بكتابة كلمة عن هذه المسرحية ، التي اثارت في نفسي الكثير من الذكريات . والحق ان حياتي الادبية قد اقترنت في مرحلتها الاولى بالمسرح ، اذ شاء القدر ان اتصل « بالمسرح القومي » الاول في مصر عام ١٩٣٥ عندما كان يديره ويشرف عليه شاعر القطرين المرحوم خليل مطران . وكنت شاعرا شابا وكان مطران يشجعني على قول الشعر في المعاني الجديدة، وكان يؤمن بوجوب الاتصال الوثيق بالآداب العالمية وبانه لا ضير اطلاقا في ان ننطلق ناقلين من تلك الآداب كل ما هو رائع وممتاز ، ولا سيما في الفنون الرفيعة المستحدثة عند العرب ، وفي طليعتها المسرح . ولقد حثني كثيرا على ان انقل شيئا من المسرح العالمي لكي يمثل على المسرح القومي الذي كان يديره ، فكان ان نقلت مسرحية « تلميذ الشيطان » لجورج برنارد شو ومثلت على مسرح دار الاوبرا المصرية سنوات ونالت نجاحا باهرا ، اكد لدي اهمية النقل من المسرح العالمي لتطعيم مسرحنا القومي الناهض .

فلما شاءت المقادير ان يتولى الاستاذ الدكتور طه حسين رياسة اللجنة الثقافية للجامعة العربية عام ١٩٥٣ وكنت حينذاك وكيلا للادارة الثقافية ،

كلمة على هامش

تواضعت فظفرت



اتيحت الفرصة الحقة لكي تنهض الجامعة العربية باعداد ترجمة كاملة دقيقة لمسرحيات شكسبير ، كخطوة اولى في سبيل نقل المسرحيات والقصص العالمية الى الادب العربي ، ولقد تاصلت وتبلورت عندي فكرة تطعيم المسرح العربي خاصة ، بل والادب العربي عامة ، بالمسرحيات والآداب العالمية ، حتى لقد اصبحت ارى ان ادبنا وفكرنا العربيين لا يمكن ان يظفرا بالرقي الحق الا بدوام النقل والتفاعل مع الافكار العالمية الحية . وليس في هذا ضير على الاطلاق ، فقد كان العرب ، وهم في اوج مجدهم ، ينقلون الافكار والاراء والفلسفات والعلوم الاخرى من لغاتها الاصلية الى لغتهم الجميلة ، فاثروا بذلك لغتهم وادبهم وفكرهم حتى قد اصبحوا هم في كثير من ضروب المعرفة قادة للفكر العالمي .. ثم ما لنا نذهب بعيدا ، فهذه هي الامم الحديثة الحية في الشرق والغرب ، تنقل آراء وافكار مؤلفي ومفكري البلدان الاخرى بصورة منتظمة ، حتى لقد اصبحنا نرى الكتاب الواحد يصدر في عدة لغات في آن واحد ، بل لقد يصدر في لغة غير لغة مؤلفه قبل ان يصدر في تلك اللغة ، حقا ان الآداب والعلوم لا تزدهر الا بالتفاعل الذي انما يتم عن طريق النقل الى لغات الشعوب الاخرى والا جمدت الحركات الفكرية وتعفنت ...

واعود الى الاستاذ علي زكريا الانصاري — وهو صاحب الفضل الاول في اثارة هذه الخواطر — فاقول انني قرات ترجمته الرشيقة لمسرحية « تواضعت فظفرت » في جلسة واحدة ممتعة حقا . وجملة القول ان الترجمة تمتاز باسلوب عربي عصري رشيق سلس . وروح الفكاهة التي يتميز بها الاصل تتالق وتتدفق في الصورة المنقولة على الرغم من ان المترجم قد تحرر من قيود النقل الحرفي وهذه ميزة له وحسنة تعد له . وانا من المعجبين بهذا الاسلوب العصري السهل السلس المعبر واهنيء الاستاذ علي من اجله تهنئة صادقة .

والمسرحية تتضمن الكثير من المفارقات الفكاهية اللطيفة ، ويكفي التنويه بان المؤلف جولد سميث قد اثارته حادثة شخصية وقعت له فحفزته الى كتابة هذه المسرحية الفكهة ، وخلاصتها انه قضى ليلة في بيت قيل له انه فندق ، فانطلق على سجيته يأمر وينهى ، شأن من يغشون الفنادق ، حتى اذا كان الصباح اكتشف ان ما حسبه فندقا لم يكن سوى بيت صديق لوالده ...

وروح الفكاهة تتجلى في شخصية « كيت » بطلة الرواية عندما تقمصت شخصية خادم من خدم المنزل لكي توقع في حبائل غرامها خطيبها « مارلو » الشديد التظاهر بالخجل وحسن الادب ، حتى ليابى إن يملي النظر في محاسنها لدى اول لقاء . ولقد نجحت خطة « كيت » الخبيثة نجاحا بينا ووقع « مارلو » فريسة غرامها الماكر وتاكد ذلك لوالدها ووالد حبيبها . فكان الزواج الموفق السعيد .

وسائر شخصيات المسرحية تتميز بالروح الفكاهية والمواقف المضحكة الساخرة ولا سيما السيدة دوروثي هاردكاسل وموقفها لدى معرفتها بضياع مجوهرات « كونستانس نيفيل » ابنة اخ السيد هارد كاسل ... وحتى تومي لامبكين ابن السيدة هارد كاسل ، فهو ، على ادمانه الشراب وعبثه وتدبيره للمقالب ، لا يخلو من روح الفكاهة الرائعة ..

هذا . وجولد سميث مؤلف المسرحية ليس مجهولا في العالم العربي ، بل هو معروف كشاعر فذ بقصيدته الرائعة « القرية المجهولة » التي سبق ان نقلها الى العربية في الثلاثينات الشاعر العبقري المرحوم محمد عبدالمعطي الهمشري الذي اغتاله الردى في ريعان الشباب .

بقي ان اعترف بجهلي الشنيع الفاضح ، ذلك ان الكويت يقوم بعمل رائع في سبيل نقل المسرح العالمي الى لغتنا الحبيبة في سلسلة (من المسرح العالمي) وتمثل مسرحية « تواضعت فظفرت » الرقم (١٥) في هذه السلسلة المباركة ، التي تصدرها وزارة الاعلام ويشرف عليها الاستاذ احمد مشاري العدواني الوكيل المساعد للشئون الفنية ، ويعاونه الدكتور محمد اسماعيل الموافي والاستاذ زكي طليمات . واني لانتهز هذه الفرصة — فرصة الاعتراف بالجهل — لكي احيي هذا المجهود الادبي العظيم الذي تقوم به دولة الكويت مشكورة ، واحيي الاستاذ العدواني واخوانه المتازين والله المسؤول ان يسدد الخطى ويهدي الى سواء السبيل .

الدكتور مختار الوكيل



الرجل.. الزمن.. التجربة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم : اسماعيل كنكت

الفجر يوشك ان يلثم رؤوس التلال الشرقية بعناد مدلل.. وبضع غيمات داكنة بدات تكسو القمر الذابل بقسوة طاغ .. وخمس عشرة ساعة من الترقب المشحون .. من اجل نصف ساعة تسحقنا بلا عوادة ..

فرج الرجل الغزير الشارب شفتيه ... ولم يقل شيئا .. فاعاد طبقهما .. منذ ان وصل كلانا الى هذا المكان ونحن صامتان ... الا من همسات تائهة ، متقطعة .. تقتل الملل ... وتقاطع بها صوت بومة (نعقت) في الوادي المجاور ..

كانت مهمتنا ان نرقب التحركات .. من اجل تقدم الاخرين ..

لكنني وحتى هذه اللحظة ... لم ار شيئا من هذا القبيل .. حتى اضواء السيارات .. لم تمزق الظلام المنتشر حولنا ..ولا خرج على قانون الصمت صوت محرك واحد .

اوشكت الف مرة ان اسال الرجل المستلقي بحذر الى جانبي عن سبب مكوثنا كل هذه المدة دون مبرر .. ولكنني كنت اصدم بملامحه التي اكتسبت من الظلام جمودا ... فوق جمود ..

— يخيل الي ان الزمن قد توقف .. وان غدا على الاكثر هو يوم القيامة .. همست تاركا نظري معلقا في لا شيء واذناي مصغيتان لاي تعليق ..

— اصمت يا رجل ..

اصمت .. اصمت .. دائما هي الكلمة التي ينتهي بها نقاشنا المنقطع اللامجدي .. اف .. لم اعد احتمل .. ان طول الانتظار يفتت الحماسة. وانا اشعر ان هذا ما يعتمل في كياني ..

— تفوه ..!!

نظر الرجل الى مكان البصقة..

لكنه لم يستطع ان يتبين مكانها ... نعاد يختلس نظرة من عقارب ساعته .. وارتسمت علامة تبرم على جبينه، ثم تلاشت .. يا الهي !! انها المرة الاولى التي استطيع بها ان اتمالك نفسي .. كل هذه المدة .. عندما كنت صغيرا .. رايت امي تواري دمعة مشنوقة .. تتارجح على رموشها .. كانها سمعت خبرا هائلا، صعب عليها ان تصدقه .. وقال اخي الذي يصغرني :

— ان اولاد (جابر) قد قتلوا ابي وجروه من ساقه في كل الحي .. لمجرد انه مر من امام بيتهم .. انتفضت مغتاظا .. وتحسست حزامي .. فوجدتها تربض تحته مستكينة ، يملوها صدا ابدي .. ليست حادة .. لكنها تستطيع ان تقوم بالمهمة .. هكذا حدثت نفسي ، وانا انطلق عدوا غير آبه بنداء عمي الذي يودني ان ارى ابي قبل ان يواروه التراب .. كنت اظن مسبقا ما سيقال لي .. امي سترجوني ان اهتم بنفسي حتى اصبح رجلا وآخذ بثاره .. وعمي سيحلف الايمان .. بانه لو لم يكن مشلول الساق واليد لذهب من توه ليصرع اولاد «جابر» واحدا واحدا .. وسيثبت لي ان ابي قتل ظلما في جريمة ارتكبها غيره .. وان كل ذنبه انه من العائلة التي كان القاتل منها ...

لم تكن سنوات عمري تزيد عن الاربعة عشر .. لكنها ايضا لم تكن عادية ، كما ان مهمتي لم تكن صعبة ... فان «جابر» بنفسه كان يسقي اغنامه على البئر وان حظي فقط هو الذي سيقرر فيما اذا كان اولاده قد ذهبوا اليه وحذروه ام لا ..

وزاد هذا الخاطر من عزيمتي ... فانطلقت باقصى سرعة .. كسفينة شراعية هبت عليها ريح مواتية بعد سكون طويل .

وصلت .. كان الشيخ «جابر» قد ترك اغنامه تتمطى تحت قدميه .. واستلقى في ظل شجرة عجوز تربطه بها علاقة حميمة ..

وعندما قفزت كومة الحجارة المتراصة .. صرخت :

— عم جابر .. عم جابر ..!!

وبوغت الرجل ، فاستند واقفا .. وبدت على محياه آثار احلام مرعبة .. ثم قال مغالبا انفاسه المتلاحقة :

— ماذا يا ولدي ..؟؟

— لا شيء .. خذ ..!!

كانت يداي قد امتدت الى ثنايا ثوبي ثم عادت بسرعة .. لتستقر في جوف الشيخ الذي ففر فاه ... وجحظت عيناه .. وهجم علي .. فتراجعت مذعورا .. لكن يديه الكبيرتين قد التفتا حول عنقي الدقيقة .. وشعرت معها ان الدم سينفجر من كل منفذ في وجهي .. وفجاة ارتخت يداه ودار حول نفسه .. دورة كاملة .. قبل ان يسقط على وجهه .. وانتابني ذهول حاد .. فتراجعت متخاذلا .. وكالكلب غدر بصاحبه .. تسللت عائدا الى البيت.

كانت آثار الدموع مازالت تغمر وجهها .. وكانت امي تنتفض بتحفزة :

— ما الذي حدث ؟؟؟

لم املك الاجابة ... ظللت محنطا كمومياء فرعونية .. ثم لويت عنقي بعد جهد راغبا ان استلقي على الفراش ، ولو لثانية ... لكنها جذبت راسي اليها ، وطبعت على جبيني قبلة .. حارة عميقة .. وسحبتني من يدي ... :

— اذهب الى المغارة التي في حقلنا ... ولا تغادرها حتى اوافيك.

ولم ادر لماذا ؟!.. كان علي ان اعترض لولا انها حدجتني بنظرة، ملتهبة .. لم املك بعدها الا التوجه الى المكان الذي ارادت ..

لم انتظرها طويلا .. فلقد وافتني تحمل الفطائر ، والسلاح .. وحثتني عن كلام الناس ، وعن رجال الشرطة الذين جاؤوا يبحثون عني .. ثم اختتمت كلامها بعد ان وعدتني بالقدوم الي يوميا حتى تنجلي هذه الغمامة .. بان ابن السبع .. سبع .

●●

ضوء ساطع يشق الظلام فوق راسينا فجاة ..

— اخفض راسك .. يبدو ان ساعة الصفر ازفت !!

قفز قلبي الى شفتي ...

واختفى الضوء .. ليظهر مكانه آخر .. وآخر ...

كان كل وهج يبرز في الظلام ويختفي ليظهر مكانه آخر قبل ان يتم تلاشيه كمن يلقي حجارة متتابعة في حوض مياه راكدة يحمل في طياته اشياء ، سرعان ما تتهشم ، كتهشم رغيف جاف . وسمعت صوت الرجل خانتا :—

— اربعة وعشرون .. (والحبل على الجرار) ... انهم اكثر مما توقعنا .. ولم اتمالك نفسي :

— انها حيلة قديمة .. انهما سيارتان فقط تتعاقبان في الظهور من وراء التلال ..

شرد بفكره .. مدة .. ثم تمتم:

— عسى ان يكون هذا صحيحا .. على اي حال سينجلي الامر .. بعد قليل ..

قلت ممازحا :

— وماذا لو كانوا بهذا العدد ؟؟

— سنفكر في الانسحاب .. بطبيعة الحال .. فامكاناتنا اقل من ان نواجه ..

— تنسحب ؟!! ماذا تقول يا رجل؟! والرجال الذين ينتظرون اشارتنا ..

... وساد صمت قلق ...

انفجرت بعده هاتفا :

— كن واثقا بي .. انني استطيع ان اسحقهم جميعا ، بنفس البساطة التي يسحق بها امريكي مائة من الفيتناميين العزل ..

ولحظت ابتسامة خفيفة تعلو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شفتيه .. فانتشيت لهذا .. وامتلأت ثقة ...

كانت الاضواء التي استلقت في السهل الممتد امامنا .. قد بدات تشكل خطا واحدا وهاجا وارتفعت اصوات المحركات ، تعبث بصمت المكان .. وسمعت رفيقي يهمس :

— لم تكن حيلة قديمة !!

احسست بغتة بانهيار بدا يدب في اصابع قدمي .. وتسلق ساقي ببطء وثبات .. ومع ذلك فقد استطعت ان اميز وسط كل الاضواء المتلاحمة كلمات صديقي وهو يتحسر:

— انهم يتقدمون نحونا .. يبدو انه ليس هناك بد من الاشتباك ... وكانت الكلمة الاخيرة وحدها كفيلة بان تفصم كل التماسك الذي حاولت ان اتشبث به ..

انهارت في لحظة واحدة كل الثقة والاماني التي بنيتها مدة ثلاثة شهور في معسكر التدريب .

— تفحص رشاشك .. وجهز الاقسام ..!!

امتدت يدي لتنفيذ الامر ... لكنها توقفت في منتصف المسافة راجفة ... كوثني يوشك ان يطلب من الهه امرا مستحيلا ..

— ها !! اراك ..

ولم يكمل فقد ازداد اهتزاز يدي ... وتصلبت الكلمات في حلقي، فبعثت في ارجائه جفافا خانقا ..

حنق الرجل .. غرز اظافره في التراب .. ثم قال صاكا اسنانه:

— لو اعلم فقط من الذي نظمك ؟!!

— لم ينظمني احد يا سيدي ... انتشر الخبر ، كانتشار النار في الهشيم .. هنالك رجال يتجولون في الليالي المعتمة .. يقولون اشياء جريئة مقنعة ..! الاستسلام معناه الموت البطيء .. ونحن نكره حديث الموت ... ككل العالم ... لن نكون كرهبان البوذيين .. نحرق انفسنا بلا فائدة .. وتدافعت موجات من الحيرة واليأس والامل ، وفي كل مكان .. كانت التساؤلات :

— الحل الوحيد هو المقاومة !!

— ولن يكون هذا بالكلام !..

— الرجال وعدوا باحضار الاسلحة

— من اين ؟!

— منا نحن !!.. هم يقولون ..

— كيف ؟ كيف ؟ — كيف ؟!!

ولست ان هناك شيئا سينبثق ولا بد من كل هذا ..

ما بالي انا صامت .. كان الامر لا يعنيني .. علي ان ابحث عن هؤلاء الرجال .. وطال البحث .. واخيرا وجدتهم في بيت جارنا .. كان كل شيء تحت كوخ الصفيح .. بينما بحثت انا في القصور والفيلات المنتشرة بالقرب من المخيم ..

قالوا انني شرس .. سامحهم الله .. ولو كانوا في مكاني لما تصرفوا بغير ما تصرفت .. فانا لم اعمل ابدا الا بنصيحة لخالي كررها كثيرا على مسمعي معتزا بانه ورثها عن ابيه.. علي ان اكون ذئبا لئلا تنهشني الذئاب وقالوا انني قاتل .. وماذا كان علي ان افعل اذا كانت الظروف هي التي تحدد لنا اهدافنا .. ووسيلة الوصول اليها ...

الرجل القصير قال لهم ان الثورة تُطَهِّر ... وانا رفعت راسه الى فمي وقبلته ..

انفاس رفيقي المتلاحقة .. تمزق كل ذكرى عابرة تمر في ذهني .. وتعيدني الى واقعي .. يا الله .. انهم يقتربون .. لساني يتجمد في فمي كعمود جليد .. كيف اقول « لامري » ان التجربة غير النظرية وان اشياء كثيرة في الانسان تختلف بين موقف وآخر ..

الامر يرى يدي تمتد مرة اخرى راعشة من سلاحي .. فينفجر مغتاظا :

— ملعون ابوك .. ما الذي يحدث لك ؟!!

الكلمات ذابت في حلقي فابتلعتها

— جبان ..

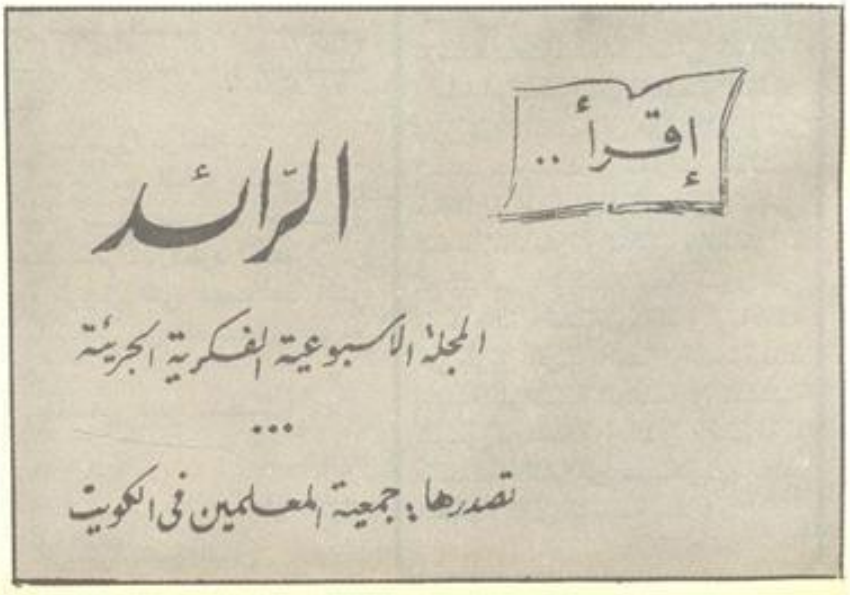
اود لو يستقر في دماغي شيء مما اسمع وارى لكن بلا جدوى ... كأن ثقوبا قد حفرت به واخرى على وشك ان تحفر .. آه .. لو تتوقف هذه الرعشة من اطرافي على الاقل.

— من حسن حظنا انهم لا يروننا !!

— « هم لا يروننا .. وانا ارتجف ... لماذا ؟ يا الله ..! »

— لو كنت اعلم انك هكذا لما رافقتك .. لقد اتهموك بانك اشجع رجل في المعسكر .

— « وهل تشك في هذا ؟! بلى ..



معك حق .. فانا ارتجف ، وبنذالة »
ـ قالوا انك مقاتل محترف ... لكن الذي يبدو ان تلك الدعاية لم يكن مصدرها الا مصرع ذلك المسكين « جابر » .
ـ «انك لا تدري ما تقوله ايها الآمر الـ « .... » تتحدث عن والدك بكل هذه السهولة .. ايمكنك ان تتناسى انهم جمعونا معا .. وانهمونا ان القضية التي نحارب من اجلها اكبر من « الحزازات » الشخصية ..ولكن من يدري تستطيع الان ان تثار لدم والدك المسفوح تحت الشجرةالعتيقة وتخبرهم انك قتلتني بيدك .. الاوامر صريحة .. ليقتل من يجبن حتى لا يكون معوقا لتحقيق الهدف .. ولكن في عينيك ثقة وادعة ..»
ياه .. ما هذا .. انهم يكادون ان يداهمونا .. يا الله ..!! الرعشة تتوقف بلا مقدمات ... ويدي تمتد الى اقسام الرشاش التي تتلوى تحتها ترجة متألمة .. لساني يتحرك في فمي بسهولة ..
ـ ماذا حدث ايها الآمر ..
ينظر الي مستغربا دون ان ينبس ببنت شفة ..
ـ علينا ان نشتبك معهم .. اردفت قائلا ...
الآمر يرد كمن اسقط في يده :
ـ لقد فات الاوان .. علينا ان ننتظر مصيرنا ..!!
ـ ومجموعة الاقتحام التي تنتظر اشارتنا ؟
لا جواب ...
اهب واقفا .. بينما طلقات رشاشي تندفع متناثرة في كل اتجاه .. اسمع صوت الآمر مناديا ومتهما اياي بالجنون ..
لا بأس يا آمري العزيز .. لن تعود لتقول عني جبان .. الموت افضل الف مرة .. احس ان نبعا دافئا لزجا يتدفق من مكان ما في جسدي ... وانهيار مفاجيء .. في كياني .. ادور حول نفسي .. ثم لا ادري ما الذي يحصل ...

●●

مثقلة جفوني تتحرك بطيئة .. لتطرد آثار سبات دام الف عام .. وظلال رجال باهتة تتماوج على اضواء السراج الرجراج في الخيمة المجاورة ..
ـ لقد طهرنا الموقع تماما ..
ـ وحققنا الهدف ..
ـ لولاه لما فعلنا شيئا ..
يخترق سمعي صوت الآمر ... يردد اسفا :
ـ لقد كان خائفا في البداية ..
وصوت صديق اتذكره بمحبة يرد واثقا :
ـ كلنا مررنا بالتجربة !
استجمع قواي .. وانشبث بالحائط عليّ أستطيع النهوض ... لكنني أنهار .. يبدو انهم سمعوا حركتي .. فحضروا مسرعين ... ابتسامة النصر مشرقة على الوجوه .
يغمرني شعور بالبهجة .. احاول ان افتح فمي لكنهم يشيرون الي بالصمت ويعرف صوت الآمر لاول مرة منذ تعارفنا :
ـ الحمد لله على سلامتك .. لقد كنت باسلا .. وقد دفعت الثمن ..
حائرا التفت الى وجوه الرجال الذين تتجمد ملامحهم .. اتحسس اعضائي بلا ترتيب .. والآمر يضيف مشفقا :
ـ ربما بتروا ذراعك ..
موجة من الكآبة تطوقني ... والغثيان يملأ فمي .. احاول الابتسام .. لاطرد الاكفهرار من وجوه الرجال التي غامت .. كأنني تذفتها باكياس من الحزن .. فلا اتمكن ..
فاغمض عيني مستسلما ..

اسماعيل كتكت الرياض/مكتبة البيان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عالم الفن

صدرت في الكويت اخيرا مجلة باسم « عالم الفن » ـ عن جمعية الفنانين ـ تهتم بالفن وبالفنان . والفن عالم قائم بذاته ، تتصارع الافكار فيه وتبدع ، وتنبعث الاراء باجوائه الرحبة فترتفع بالانسان .. ترتفع بفكره وبذوقه،وتهذب شعوره. ولا شك ان الفن ضرورة من ضرورات الحياة المتقدمة .

ان « عالم الفن » ، كما تصفحناها ، تحتوي على عناصر تبشر باهتمام لا بأس به ، ومجلة « البيان » ترجو « لعالم الفن » كل تقدم وازدهار ، وترجو للقائمين عليها كل توفيق ونجاح .

●●

جاءنا من الاديب السيد محمد رضوان احمد مايلي :
« في العدد ٦٥ من (البيان) الصادر في اغسطس ١٩٧١ ، مقال للاستاذ محمود سلطان عنوانه : (ايليا ابو ماضي بين التقليد والتجديد) قارن فيه الكاتب بين ابي ماضي وعمر الخيام ، وسلك في مقارنته مسلكا خاطئا ، اذ جرى فيه مجرى متهمي الخيام بالسكر والكاس والطاس ، مع كثرتهم . والخيام رجل صوفي تقي ورع عالم ، نصح ووعظ في رباعياته عن طريق الرمز ، كما اوضحت ذلك بالادلة الواضحة القاطعة في مقدمة شرحي لرباعياته ، الذي دعوته : (كشف اللثام عن معاني رباعيات الخيام) الذي لم يطبع بعد » .





بقلم الدكتور
احمد
الشرباصي

الشاعر الشهيد أبو ذؤيب الهذلي

لعل الداء الدوي العمي الذي اصيبت به الامة المسكينة المنكوبة ، العديدة الادواء ، الممزقة الاشلاء ، هو انها تقول كثيرا ، ولا تعمل الا قليلا ، وانها قد ترغي وتزبد ، وتهدد وتتوعد ، ثم لا يكون منها وراء ذلك تصديق او تأييد ، لما توسعت فيه من ادعاء او تهديد .

وقد صور شاعرنا « شوقي » اولئك الذين يعيشون على الاقوال دون الاعمال ، فقال عنهم انهم « اسود الكلام نعام الوغى » ، او كما قال الاول في امثال لهم : « جسم البغال واحلام العصافير » .

وهذا هو القرآن الكريم — كتاب العربية الاكبر — يبكت ويعرض بالذين ينتسبون الى الايمان ، ولا يوفون له بحقوقه وواجباته ، فيقول : « يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ، ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

كما اننا نفهم من التنزيل الالهي الحكيم ان ضخامة الاقوال مع ضآلة الاعمال من شيم اهل النفاق ، فلهم في الاجسام هامات وقامات ، ولهم في مجالات الكلام صولات وجولات ، ولكنهم امثلة مؤسفة للجبن والخور ، فهم اخطر الفئات على المجتمع : « واذا رايتهم تعجبك اجسامهم ، وان تقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو ، فاحذرهم ، قاتلهم الله ، انى يؤفكون » .

ولقد علمنا الاسلام ان اهل العزة والكرامة هم الذين يجمعون طيب المقال وحسن الفعال ، يقول القرآن : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ، اليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه ، والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ، ومكر اولئك هو يبور »

ولقد شاهدت الدنيا في صدر الاسلام رجالا احسنوا الجمع بين القول الجميل والعمل الجليل : تكلموا

فاصابوا ، ودعوا فاجابوا ، وعملوا فاتقنوا ، وجاهدوا فاحسنوا : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين » .

● ● ●

وهذا واحد من هؤلاء :

انه الشاعر المخضرم ، المجاهد الشهيد : ابو ذؤيب خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد الهذلي ، الذي لم يجد التاريخ علينا بكثير من احداث حياته ، او تفاصيل ايامه ، ولكنا نعرف انه كان شاعرا بليغا ، مقتدرا مؤثرا ، وكان اشعر قبيلته هذيل . سئل حسان ابن ثابت شاعر الاسلام وشاعر الرسول : من اشعر الناس ؟. فقال : اشعر الناس حي هذيل ، واشعر هذيل غير مدافع ابو ذؤيب .

ويقول البغدادي :هو اشعر هذيل من غير مدافعة. ويقول محمد بن سلام : « كان ابو ذؤيب شاعرا فحلا ، لا غميزة فيه ولا وهن » اي لا مطعن ولا ضعف . وتذكر « دائرة المعارف الاسلامية » ان ابا ذؤيب قد بز شعراء الجاهلية في تشدده في حبك قصائده وبنائها ، كما كان يفعل الشاعر الهذلي « ساعدة بن جؤية » الذي كان ابو ذؤيب راوية له ، وكلا الشاعرين يشتركان في وصف عسل الابكار من النحل وجامعه ، وما يخامرهما من متعة الوصف الوثيق الدقيق للنحل ، وعمل الجامع للعسل ، وكذلك التناول الخاص لتراكم السحاب وهطول المطر الذي يعقبه . وكذلك كان ابو ذؤيب ينفق في النسيب حتى يشمل القصيدة كلها ، وتحتوي الموضوعات الاخرى في ثنايا هذا النسيب ، وكان مولعا بوصف الاسلحة ومشاهد الصيد ، وفاق غيره في ذلك ، وكانت وحدة القصيدة تتجلى في بعض قصائده .

ولو ظل ابو ذؤيب الهذلي قوالا بغير فعال لما شغلنا امره كثيرا ، ولقلنا فيه ما قاله الحق جل جلاله في الضالين من شعراء الاوهام والاحلام : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، الم تر انهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون » . ولكنه كان فيما نفهم من اولئك الذين جمعوا بين بلاغة القول وروعة العمل ، والذين استثناهم الحق جل جلاله من طوائف الشعراء بقوله : « الا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون » .

ولقد تأخر الزمن باسلام ابي ذؤيب لسبب لا نستطيع ان نقطع به ، ثم انشرح صدره للاسلام ، فقدم « المدينة » عند وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فاسلم وحسن اسلامه .

ويتحدث هو عن ذلك فيقول فيما يقول : « بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ، واوجس اهل الحي خيفة ، واشعرنا حزنا ، فبت بليلة باتت النجوم بها طويلة الاناة ، لا ينجاب ديجورها(١) ، ولا يطلع نورها ، فظللت اقاسي طولها ، واقارع غولها(٢)، حتى اذا كان دوين السمر ، وقرب السحر ، خفت ، فهتف هاتف وهو يقول :

خطب اجل اناخ بالاسلام
بين النخيل ومعقد الاطام(٣)
قبض النبي محمد ، فعيوننا
تذري الدموع عليه بالتسجام

فوثب ابو ذؤيب عند ذلك فزعا ، وقدم المدينة ولاهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اهلوا بالاحرام والتلبية ، فسال : ما الخبر ؟ فقالوا : توفي رسول الله صلى الله عليهم وسلم (٤) .

فحزن لذلك حزنا شديدا ، وعاهد ربه على اتباع دعوته وسنته ، ودخل فيمن دخلوا على الجثمان الطاهر المسجى على فراشه ، وصلى مع من صلوا عليه جماعات وارسالا ، وكان قلبه قد اضاء بشعلة قوية نقية من الايمان واليقين ، وحضر ابو ذؤيب عقب ذلك اول اجتماع للمسلمين للمشاورة في اختيار خليفة للرسول في سقيفة بني ساعدة ، وبايع فيمن بايعوا ابا بكر الصديق رضوان الله عليه ، وقرر الشاعر المؤمن ان يسكن المدينة ، لانها مستقر النبي صلى الله عليه وسلم حيا وميتا .

وكانما خلق ابو ذؤيب بالاسلام خلقا جديدا ، وتبدل كثيرا من خلاله وصفاته ، فرحلت عنه حمية الجاهلية باوضارها واوزارها ، واصبح جنديا من جنود الدعوة والقيادة ، يجيد القتال ويجيد الفعال ، واخذ يشارك بجهاده وجهوده في الفتوح والغزوات ، زمن ابي بكر ، وعمر ، وعثمان ، رضوان الله على الجميع ، وامتحنته الاقدار بالسديد من الابتلاء والاختبار ، فصبر صبرا جميلا ، واحتمل احتمالا كريما ، فقد كان له ستة ابناء، فقد منهم خمسة تباعا ، اصيبوا بالطاعون في عام واحد ، وخلفوا وراءهم ابنا واحدا ، ورواية « العقد الفريد » تذكر ان الابناء كانوا سبعة ماتوا كلهم الا طفلا (٥) ، فرثاهم ابو ذؤيب بقصيدة بليغة مؤثرة ، لم يتنكر فيها للايمان ، بل ثبت بها دعائم ايمانه ، وكانه كان يتذكر قول ربه : ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، وبشر الصابرين، الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون » . والقصيدة طويلة النفس ، تقارب السبعين بيتا .

وفي هذه القصيدة يقول ابو ذؤيب .

امن المنون وريبها تتوجع ؟
والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت اميمة : مالجسمك شاحبا
منذ ابتذلت (٦) ، ومثل مالك ينفع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر الشهيد ابوذؤيب الهذلي



ام ما لجنبـــك لا يلائم مضجعـــا
الا اقض عليـك ذاك المضجـــع ؟
فاجبتهـــا : اما لجسـمي انـــه
اودى بني من الـــلاد فودعـــوا
ســـبقوا هوى ، واعنقوا لهواهـــم
فتخرموا ، ولكل جنب مصرع(٧)
فبقيت بعـدهم بعيـش ناصـب
واخـال اني لاحـــق مستتبـــع
ولقد حرصـت بان ادافـــع عنهم
واذا المنيـــة انشبت اظفـــارها
الفيـت كل تميمـــة لا تنفـــع
لا بـــد من تلف مقـيم فانتظـــر
ايـارض قومـك ام بأخرى المضجع
ولقـد ارى ان البكـاء ســـفاهه
ولســوف يدمـع بالبكا من يفجـع
وليـــاتين عليـك يـوم مـــره
يبكي عليـك مصـنف لا يسمـــع
فلـئن بهم فجـع الزمـان وريبـه
اني باهـــل مـــودتي لمفجـــع
كم من جميـع الشمل ملتئم الهـوى
كانوا بعيـش نـــاعم فتصدعـــوا
والنفس راغبـــة اذا رغبتهـــا
واذا تـــرد الى قليـــل تقنـــع

وهو يشير بهذا البيت الى الطفل الذي بقي له ، وكانه يقول ان الانسان اذا فتح على نفسه ابواب الطمع تضاعف طمعها ، وتكاثرت رغباتها ، والحديث يقول : « لو كان لابن آدم واد من ذهب لتمنى معه الثاني ، ولو كان معه الثاني لتمنى معه الثالث ، ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب » . ولكن الانسان اذا علم نفســه القناعة والرضى بالقليل استجـــابت له واكتفت بما يسر الله لها .

والقصيدة ــ كما تقول دائرة معارف البستاني ــ من اشهر الشعر الرثائي العربي ، لم يبق اديب الا روى منها ، ولا كتـاب في بابها الا استشهد ببعض ابياتها ، وقد جمع فيها رقة العاطفة وطبيعة الحزن ، ومرارة النفس المتحفزة عجزها لدى حدثان الدهر ، الى الاعتبار بشمول الموت ، وقنـاعة النفس بالزهد الحاصل بعـد انفســاح الامل ، وتنوع الرغائب والمطامع ، الى دقة الوصف وحسن التصوير وضبط التصميم ، وبلاغـــة التعبير ومتانة السبك وقوة النفس ، ومقدرة التصـرف بالغـريب .

وبلغ من مكانة هذه القصيدة وتاثيرها ان المنصور حينما توفي ولده الاكبر « جعفر » مشى المنصور في جنازته من بغداد الى مقابر قريش ، وهي مقبرة مشهورة ببغداد ، ومشى الناس معه اجمعون حتى دفنه ، ثم عاد الى قصره ثم اقبل على مولاه الربيع بن يونس ، وقال له : « يا ربيع انظر من في اعلى ينشدني (امن المنون وريبها تتوجع) حتى اسلي بها عن مصيبتي .

فمضى الربيع فلم يجد احدا يحفظها ، فرجع الى المنصور واخبره ، فقـال : والله لمصيبتي باهل بيتي الا يكون فيهم احد يحفظ هذا لقلة رغبتهم في الادب ، اعظم واشد علي من مصيبتي بابني .

ثم قال المنصور للربيع : انظر هل في القواد والعوام من الجند من يعرفها ، فاني احب ان اسمعها من انسان ينشـدها . وخرج الربيع فبحث حتى وجد شيخا كبيرا مؤدبـا قد انصرف من موضع تاديبه ، فساله : هل تحفظ شيئا من الشعر ؟ فاجابه المؤدب : نعم ، احفظ شـعر ابي ذؤيب .

فقال له الربيع انشدني : فابتدا الشـيخ هذه القصيدة العينية ، فقال الربيع : انت بغيتي .

وذهب به الى المنصور فانشده القصيدة ، ولما سمع المنصور قول ابي ذؤيب : « والدهر ليس بمعتـب من يجزع(٨) » قال : صدق والله ، فانشدني هذا البيت مائة مرة ، ليتردد هذا المصراع علي . فانشـده ، ثم مر فيهـا ، فلما انتهى الى قوله :

والدهـر لا يبقى عـــلى حدثـانه
جـون السـراة له جدائد اربع(٩)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال المنصور : سلا ابو ذؤيب . ودفع المنصور الى الشيخ بصرة فيها مائة درهم(١٠) .

●●●

وانتقل ابو ذؤيب من الرثاء والبكاء الى خير العمل، فذهب الى عمر بن الخطاب وساله : اي العمل افضل يا امير المؤمنين ؟ .

فاجابه : الايمان بالله ورسوله .

قال ابو ذؤيب : قد فعلت ، فايه افضل بعده ؟ يعني : فاي العمل افضل بعد ذلك ؟

اجاب عمر : الجهاد في سبيل الله .

فقال ابو ذؤيب مؤكدا عزيمته في الجهاد : ذلك كان علي ، واني لا ارجو جنة ولا نارا .

وحمل سلاحه ، وخرج الى الجهاد في افريقية ، ليجاهد اعداء الله تعالى واعداء الناس من الروم ولتحرير الارض الطيبة العذراء لاهلها واصحابها ، وظل يجاهد ويجاهد ، حتى نال نعمة الشهادة سنة سبع وعشرين للهجرة مناضلا مغتربا(١١) ، مؤثرا ما عند الله على ما عند الناس ، وقيل ان ابا ذؤيب خرج للجهاد في افريقية مع جيش عبدالله بن ابي سرح سنة ست وعشرين في زمن عثمان ، واتم الجيش الفتح ، وارسل القائد بشيرين الى الخليفة ، هما عبدالله بن الزبير وابو ذؤيب ، فلما قدموا مصر مات ابو ذؤيب بها ، وقام بامره ابن الزبير حتى واراه في لحده . وقيل بل مات في ارض الروم على حافة الميدان من جهة الاعداء فهما كان وراء قبر ابي ذؤيب قبر يعرف لاحد من المسلمين .

رضوان الله على الشاعر المجاهد الشهيد .

احمد الشرباصي

(١) لا ينكشف ظلامها .

(٢) اقارع : اغالب ، وغولها : ما يغتال فيها ، ويعني هيها .

(٣) النخيل ومعقد الاطام : موضعان . والسجام : كثرة سيلان الدمع .

(٤) معجم الادباء ، ج ١١ ص ٨٤ طبعة رفاعي .

(٥) العقد الفريد ، ج ٣ ص ٢٠٦ مطبعة الاستقامة .

(٦) ابتذلت : امتهنت نفسك .

(٧) هوى : هواي بلغة هذيل ، والمعنى : مانوا قبلي . واعتقوا :

(٨) اسرعوا . ونخرموا : اخذوا واحدا بعد واحد
اعتبه : رجع الى ما يرضيه ، وترك ما يسخطه .

(٩) جون السراة : اسود الظهر او ابيضه ، فهو يطلق على

(١٠) الاسود والابيض ، ويريد بجون السراة حمارا . والجدائد : واحدها جدود بفتح الجيم ، وهي الاتان التي لا لبن لها .
الاغاني ، ج ٦ ص ٢٧٢ — ٢٧٤ .

(١١) الكامل لابن الاثير ، ج ٣ ص ٣٥ .

إصرار

الحساني حسن عبدالله

لَوْ كُنْتِ أَفْقَرَ مَنْ سمِعْتُ وكُنْتِ أَفْقَرَ مَنْ رأيْتُ
لأَبَيْتُ عَيْناً لَمْ يَحَرِّكْ صَخْرَهَا أنِّي بَكَيْتُ
وأَبَيْتُ ثَغْراً سَرَّهُ أنِّي اشْتَهَيْتُ وَمَا حَوَيْتُ
وأَبَيْتُ جِيداً هالَهُ مِنْ كِبْرِهِ أنِّي أَبَيْتُ
وأَبَيْتُ قَلْباً لَيْسَ يَرْعَى ذِرْوَةً مِمَّا رَعَيْتُ
وأَبَيْتُ عَجْزاً طالَمَا سَوْغَنْتُهُ حَتَّى اسْتَحَيْتُ
مَا حاجَتِي بِكِ يا رُخَاماً لَيْسَ يَسْعَى أَنْ سَعَيْتُ
هٰذَا الخِتَامُ ، فَأَنْتَ ثَنَّيْتُ نَفْسِي أَوْ مَضَيْتُ
وَعَطَاشَتِي — إِمَّا عَدَلْتُ — صَائِرَةٌ إِلَى حَيْثُ انْتَهَيْتُ
هٰذَا الخِتَامُ وَإِنَّ صَبَّا لَيْسَلِي ، أَجَلْ ، وَإِذَا كَتَوَيْتُ

الأديب

تصدر في مطلع كل شهر

بين أهم في تحريرها
أدباء العربية من
الخليج إلى المحيط

تحمل
إليكم
الأنباء الثقافية والأدبية
في العالم العربي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com